الدولة الثالثة من دول محور الشر

جاء في البروتوكول الثالث من كتاب (بروتوكولات حكماء صهيون) الآتي:

«بوسعي اليومَ أنْ أُعلمكُم، بأنَّ هدفنا قد تَدانَى واقترب، فلم يبق بيننا وبين الوصول إليه إلاَّ بضعُ خطوات، في مسافةَ قصيرة. وبنظرة إلى الوراء نُدركُ أنَّ الطريق الطويلةَ التي اجتزناها كادت تنتهي. ثم تُقفلُ الأفعى الرمزيةُ دَورتَّها، وهذه الأفعى هي رَمزُ شعبنا في قيامه بهذه المراحل، وعندما تُغلَقُ هذه الحلْقةُ، تُمسي الدولُ الأوربيةُ جميعاً محصورةً ضمن دائرتها. والأفعى قد تكوَّرت من حولها كالكلاَّبة».

«أشر غنزبرج»
أحد هاعام (أي: أحد أفراد الشعب)

يقول «ترومان» ـ رئيسُ الولايات المتحدة الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية ـ: «**لا أعتقد أنني أتذكر أنَّ البيت الأبيضَ قد واجه ضغطاً تحت أبواق الدعاية، مثلَ الضغط الذي شاهدتُهُ في هذه الحالة. إنَّ إصرار زعماء الصهاينة المتطرِّف: الذي بدأ من خلال حَركاتهم وسَكناتهم ووَعيدِهم، قد أزعجني وآلَمَني أيَّما إيلام**»[1].

وهكذا بعد أن نجح قرارُ التقسيم بأغلبية ثلاث وثلاثين دولةً، ومعارضة: 13 دولة، وامتناع: عشر دول عن التصويت، وتغيُّب دولة واحدة، بعثت الخارجيةُ الأمريكيةُ ببرقيةً لسفارتها في القاهرة بتوقيع «ترومان» جاء فيها:

«وبعد مراجعة التصريحات السياسية لمسؤولين أمريكيين كبار، ومراجعة قرارات الكونغرس، ومراجعة برامج الأحزاب خلال الثلاثين عاماً الماضيةَ، توصَّلتَ الحكومةُ الأمريكيةُ

(1) انظر: مذكرات ترومان، نيويورك: ص158.

إلى الاقتناع بأنَّه ما لم يكن هناك عاملٌ غيرُ محسوب في الوضع، فإنَّ اتجاه الرأي العامِّ، والسياسة المبنية على أساسه، قد أجبرت عملياً الولايات المتحدةَ على تأييد التقسيم[1].

كان ردُّ الرئيس «ترومان» بعد إحدى عشرةَ دقيقة؛ إذ أعلن البيت الأبيضُ:

«لقد أعلمت هذه الحكومة، أنَّ دولة يهوديةً قد أُعلنت في فلسطين، وأنَّ طلباً بالاعتراف قُدِّم إليها من قِبَل الحكومة المؤقتة. بناءً على ذلك: فإنَّ الولايات المتحدةَ تعترفُ بسلطة الحكومة المؤقَّتة لدولة إسرائيل كأمرٍ واقعٍ»[2].

إذا كانت الحكومة الأمريكيةُ ترى أنَّ الاعترافَ الشرعيَّ وليس الواقعيَّ، يَتمُّ بعد إجراء انتخابات عامة، واختيار مجلس تشريعيٍّ، يَخلُفُ المجلسَ المؤقَّتَ. ويذهبُ وزير الخارجية الإسرائيلية الأسبقُ «أبا إيبان» للقول: إنَّ أمريكا اعترفت بإسرائيل بعد قيامها بخمس دقائق[3].

ومنذ قيام إسرائيل ـ بدعم غير محدود من أمريكا ـ تطوَّرت المصالحُ الأمريكيةُ في المنطقة، إلى أن أصبحت تُشكِّلُ اليومَ رهاناً اقتصادياً واستراتيجياً كبيراً، كما أصبحت القضيةُ الفلسطينيةُ تُشكِّلُ عُنصراً مركزياً في سياسة الولايات المتحدة تجاهَ الشرق الأوسط، برغم أنَّ العديد من واضعي السياسة الأمريكية سَعَوا كثيراً إلى تصويرها: بأنَّها قضية ثانويةٌ. لقد مرَّتْ سياسةُ الولايات المتحدة حيالَ الشعب الفلسطينيِّ بمراحل ثلاث:

في الأولى: تعاملت مع الفلسطينيين على أنهم لاجئون.

وفي الثانية: كشركاء في الإرهاب الدوليِّ.

وفي الثالثة: ككيان، ولكنهم يَعتبرون الانتفاضةَ عملاً إرهابياً؛ بوقوفها المنحاز كلياً إلى سياسة «شارون» الإرهابية ـ في عهد «بوش الابن» ـ. وقد ثبت في واقع الحال بُطلان الذرائع الصهيونية لتبرير مشروعها الاستيطانيِّ، واقتلاعِ الفلسطينيين من أراضيهم، بذرائع دينية وتاريخية وسياسية واجتماعية.

---

(1) انظر: شؤون فلسطينية / عدد: 21 ـ مقال: مايكل جانسن.

(2) انظر: أمريكا والصهيونية: ص 58 و59.

(3) نفس المصدر/ رقم 1، ص408، وليس إحدى عشرة دقيقة.

وتبيَّن لكلِّ ذي لُبٍّ بأنَّ مزاعم اليهودية والصهيونية إلى تحقيق تسوية عادلة وشاملة ونهائية ما هو إلاَّ ضربٌ من العبث ـ وخاصةً في عهد «شارون» ـ. فالكيان الإسرائيليُّ بحقيقته هو ثُكْنةٌ استيطانيةٌ اقتلاعيةٌ؛ لأنَّه يَعتبرُ نفسَهُ إلى الآن: أيديولوجيةً وسياسيةً لا يريد كشفَها. الأمر الذي يُثبتُهُ سلوكُ الكيان اليوميُّ الواضحُ. ويستندُ أمنُ الكيان الإسرائيليِّ على الصعيد الاستراتيجيِّ على ثلاث ركائز:

1 ـ العلاقة المتميزة مع الولايات المتحدة الأمريكية، بسبب نشاط اليهودية والصهيونية والماسونية في أمريكا.

2 ـ عدوانه الناجح على الأمة العربية، بسبب المساندة اللامحدودة مالياً وعسكرياً ومعنوياً الأمريكية لها.

3 ـ تهويد فلسطين، واقتلاع جذور الفلسطينيين والعروبة منها نهائياً لإقامة دولة الحلم الكبرى لليهود.

ومن أجل ذلك دَأَبتْ واشنطن على طرح مسارات سياسية لتسوية القضية الفلسطينية؛ من شأنها تفتيتُ القوى العربية من جهة، وتجنيدُ قوى وشرائحَ عربيةً لجانبها من أجل تأمين مصالحها، واستطاعت إدارة «بوش الأب» بعد حرب الخليج أن تُقنعَ الأطراف العربيةَ بمبادرة أسمَتها: (مؤتمر مدريد)؛ الذي ذهب إليه الكيانُ الصهيونيُّ مُكرَهاً، رغمَ تلبية شروطه التعجيزية، وكانت مباحثات جانبية أخرى، قادت إلى (اتفاقات أوسلو) الفاشلة؛ التي وَلَّدت انقساماً في الصف العربيِّ، جعلت إسرائيلَ تنفردُ بالأطراف العربية الأخرى، لتُمليَ شروطَها الاستسلامية في مباحثات التسوية إزاءَ سياسة التطهير العِرْقيِّ..

وعندما وصل «آرييل شارون» إلى الحكم هَدَم كلَّ ما كان من اتفاقات هدماً نهائياً من: (اتفاق مدريد) إلى (اتفاق أوسلو)، إلى تدمير البُنية التحتية، وتدمير السلطة الفلسطينية، واحتلال الضفة الغربية احتلالاً جديداً، مع حصار مميت، وهدم للبيوت، واعتقال لجميع أعضاءَ المنظمات؛ من خلال فرض الحلِّ الذي يريده «شارون» بقوة الطائرات والدبابات، مقتنعاً أنَّ سياسة القوة هي التي تَفرِضُ الحلَّ الذي يريده، ويَفرِضُهُ على الفلسطينيين بالقوة، بحجة

الانتفاضة، وقتل الفلسطينيين باسم الإرهاب والإرهابيين. وسوف يَثبُتُ لـ«شارون» خطأ وجهة نظره؛ لأنَّ قضايا السلام لا تُحلُّ بالقوة والقتل والتدمير وفرضِ شروط الاستسلام.

محور الشر الإسرائيلي ـ الأمريكي:

سوف يكتشف العرب والمسلمون قريباً أنَّ فلسطين مجرد «مُقبِّلات» للسياسة الأمريكية ـ الإسرائيلية في منطقة الشرق الأوسط؛ لأنَّ الطبق الرئيسيَّ سيكون تفويضُ الدول العربية والإسلامية، وجرُّ قادتها كافةً إلى بيت الطاعة الأمريكي ـ الإسرائيلي...

هناك محور شر، يضمُّ: إسرائيلَ، واليهود الأمريكيين، والمسيحيين الصهيونيين في الولايات المتحدة الأمريكية. وأُريدُ أن أكتبَ بدقة، فأقول: إنَّ الرئيس «بوش» نفسه قد لا يكون «مسيحياً صهيونياً» إلاَّ أنَّ قاعدته الانتخابيةَ الأساسيةَ هي في «حزام التوراة» الذي يُفرِزُ أنصارَ إسرائيل بين المسيحيين الأمريكيين...

كلُّ عربيٍّ يقول: إنَّ اليهود الأمريكيين يسيطرون على السياسة الخارجية للولايات المتحدة، خصوصاً في الشرق الأوسط، ويُوجِّهونها لخدمة مصلحة إسرائيل، أحياناً على حساب المصالح الأمريكية نفسها. غيرَ أنني اليومَ سأكتفي بكلام يهودٍ أمريكيين، أو إسرائيليين عن هذا النفوذ، وكيف يعملُ محورُ الشرِّ الآخر..

إنَّ «دنيس بيرنستين» يقدِّمُ برنامجاً في راديو «فلا شبوينت» الأمريكيِّ، ارتكب غلطةَ العمر عندما غَطَّى اجتياحَ القوات الإسرائيلية لمخيم جنين، وأصبح يتلقَّى كلَّ يوم مهاتفات أو بريداً أليكترونياً يشتمُ أُمَّه وأباه بأقذع كلام، ويُهدِّدُهُ بالقتل، أو بعملٍ فاحشٍ له ثم قتله. ومِثْلُهُ «آدم شابيرو»؛ الذي كان ضمنَ مجموعة من اليهود المتعاطفين مع الفلسطينيين: الذينَ صمدوا مع «ياسر عرفات» في مقرِّه عندما حاصرته الدبابات الإسرائيليةُ، وكانت النتيجةُ تهديدات مقذعةً، حتى أنَّ أسرتَهُ في «بروكلن» طلبت حمايةَ الشرطة، ثم طُرِدَ أبوه من عمله، على الرغم من أنه يعمل في مدرسة دينية يهودية.

«دنيس بيرنستين» يقول: «أي صحافيٍّ أمريكيٍّ أو معلِّق، أو أستاذ جامعة، أو طالب نَشط، أو مسؤول حكوميٍّ، أو رجل دين يجرؤ على انتقاد إسرائيلَ، أو ينقلُ بدقة فظائعَ الاحتلالَ غيرِ الشرعيِّ سيتَّهَمُ فوراً بأنَّه: لا ساميّ».

أما «يوري أفنيري» ـ وهو رئيس حركة إسرائيلية للسلام ـ فيقول: إنَّ مقاومة توجيهات اللُّوبي اليهوديِّ هو انتحارٌ سياسيٌّ، واللُّوبي يُخيفُ وسائلَ الإعلام أيضاً، ويضيفُ «أفنيري» ساخراً: أنَّه بسبب فوز أعضاء كثيرين من الكونغرس بفضل أموال اليهود، فإنه لو سعى اللُّوبي إلى تعديل الوصايا العشر لأيَّدَهُ ثمانون عضواً في مجلس الشيوخ، وأكثرُ من ثلاثمائة عضو في مجلس النواب. . كُلُّنا يَعرفُ هذا، غيرَ أنني أنقل هنا عن يهود أمريكيين وإسرائيليين. وربما زِدتُ شهادةَ «يوسي شاين» و«باري بريتسمان» فهما في مقال عن الشتات والوَلاء اليهوديِّ لإسرائيل نشرته مجلة (أترناشيونال أفيرز) في عدد: كانون الثاني (يناير) الماضي، قالا: إنَّ اليهود الأميركيين نجحوا في جعل أمن إسرائيلَ جزءاً من السياسة الخارجية الأمريكية، وفي توجيه هذه السياسة لمحاربة اللا سامية في كل مكان. والنتيجة: أنَّ بعضهم يقول: إنَّ دفاع أمريكا عن أمن إسرائيل، في أهمية دفاع إسرائيلَ عن نفسها، فلم يَحدُث في تاريخ اليهود أنْ لَعِبُوا مثلَ هذا الدور المحوريِّ في صَوغِ سياسةِ أعظم دولة في العالم.

هذه السيطرة زادت كثيراً بعد عودة الجمهوريين إلى البيت الأبيض.

و«يوري أفنيري» يشرح الوضعَ بالقول: إنَّ المسيحيين الصهيونيين يعتقدون أنه يجب أن يجتمع اليهودُ في فلسطين كلِّها؛ تمهيداً لعودة المسيح، إلاَّ أنَّ اعتقادهم يَنصُّ على أنْ يعتنق هؤلاء اليهودُ المسيحيةَ ليعود السيدُ المسيح، وإنْ لم يفعلوا فسيموتون في محرقة هائلة.

السفارة الإسرائيليةُ في واشنطن، تُنظِّمُ حفلات يتحدَّثُ فيها المسيحيون الصهيونيون، وهؤلاء لا يكتفُون بتأييد إسرائيلَ في الولايات المتحدة. فجزءٌ من عملهم: التبشير، وهم يَنشَطُون في العالَم الإسلاميِّ كلِّه لجعل المسلمين يعتنقون الدينَ المسيحيَّ.

ويجب أنْ أُسجِّلَ هنا: أنَّ «مارتن لوثر» ـ مؤسِّسُ البروتستانتية ـ، له كتاباتٌ لا ساميَّةٌ عنيفةٌ، وأنَّ المسيحيين الصهيونيين من طوائف بروتستانتية أمريكية فقط، وتختلف عن الكنائس الكاثوليكية، والأرثوذكسية الشرقية التي تتعايش بنجاح مع المسلمين في كلِّ مكان. . وجامعة

كولومبيا الدولية في ولاية كارولينا الجنوبية تُدرِّس المبشرين الأصوليين المسيحيين أساليبَ المسلمين عن دينهم، وقد قرأتُ عن مُعلِّم هو: «ريك لوف»؛ الذي يترأَّس أكبرَ مجموعة من المبشرين، واسمها: «فرونتير»، أو: الحدود. وهناك ثمانمائة مُبشِّر من أعضائها يعملون في خمسين بلداً إسلامياً، من: كينيا إلى كازاخستان، وشمال إفريقية، والسودان وغيرها، وهم يعترفون بفشلهم في جعل أيِّ مسلمين يتركون دينَهم.

ويقول المبشر «آل دوبرا»؛ الذي لم يَستطع على رغم صداقته مع رجال الأعمال المسلمين في نيروبي أنْ يُحوِّل واحداً منهم عن دينه: «إنَّ هدفي هو: أنْ أَزرعَ بُذورَ الشكِّ في عقولهم؛ ليبدؤوا التساؤلَ عن حقيقة دينهم».

وقد توكَّأتُ فيما سبق على مُلخَّص لتحقيق طويل في مجلة (ماذر جونز)؛ التي تُصدرُها مؤسسةُ التقدم الوطنيِّ، وهي موجودةٌ على الإنترنت؛ حيث توجد أيضاً تفاصيلُ كثيرةٌ عن جامعة كولومبيا الدولية ومبشريها. وبما أنَّ الموضوع كلَّهُ «يجيب العصبي»، فإنني أريدُ أن أختتمَ بشيء إيجابيٍّ ربما المغزى فيه: أنَّ السيطرة اليهودية الأميركيةَ، ومحورَ الشر مع الأصولية المسيحية، لا يمكن أن يستمرُّوا.

وباختصار: فبعد الاجتياح الإسرائيليِّ الأخيرِ للأراضي الفلسطينية تظاهر عربٌ كثيرون أمام السفارة الإسرائيلية في واشنطن، وكان بين هؤلاء قريبةٌ لي وابنُها: الذي هَتفَ بأعلى صوته حتى بُحَّ. قالت قريبتي: إنَّ رجلاً من الاستخبارات السرِّيَّة «المسؤولة عن أمن السفارات» زارَ منزلَ الأسرة بعد يومين وحقّق مع الصبي، وقال: إنَّه وصل إليهم من رقم سيارة العائلة، وبدا كأنه يُؤدِّي واجبَهُ من دون حماسة، وفي النهاية اعتذر للأسرة عن الإزعاج، وقال للصبي وهو خارج: إنَّه يتعاطف مع موقفه.

طبعاً، لو دان هذا الرجلُ علناً الهيمنةَ اليهوديةَ ـ الأمريكيةَ على السياسة الخارجية لبلاده لربما فَقدَ عملَهُ؛ لأنَّه إذا كان أنصارُ إسرائيل يَطشُون بيهود، فمن الجُرْأة والأخلاق أنْ يُدينوا ممارساتِ إسرائيلَ، فهم لن يرحموا أمريكياً من غيرِ دينهم.

الفلسطينيون بين مطرقة «شارون» وبين الصمتِ الدَّوليِّ، والعجزِ العربيِّ:

إنَّ الحال الذي وصلت إليه المسألةُ الفلسطينيةُ اليومَ يُعتبرُ نتاجاً لعدد من العوامل المأساوية: إسرائيلياً، وفلسطينياً، وعربياً، ودولياً. ولا أعتقدُ أنَّ «شارون» وحدَهُ هو المسؤولُ عن انهيارِ ما كان يُسمَّى: بالسلام الفلسطيني ـ الإسرائيليِّ، رغم أنَّه ـ أي: «شارون» ـ عاملٌ مشتركٌ ومؤثِّرٌ في تشكيل العوامل الأخرى غيرِ الإسرائيلية.

إنَّ التنازلات الفلسطينيةَ هي التي قادت إلى الوضع الحاليِّ، وأفقدت بنسبة كبيرة التحرُّكَ السياسيَّ العربيَّ فاعليَّته إلى حدِّ العجز؛ الذي بدوره ساهم أيضاً في صنع المأساة التي يعيشها الشعب الفلسطينيُّ، كما أنَّ سياسةَ غضِّ الطرف التي تَنتهجُها الجماعةُ الدوليةُ جعلت من الصمت على كلِّ ما يحدث في فلسطين من جرائم إسرائيلية سمةً أساسيةً من سمات السلوك الدوليِّ المعاصرِ. . وكم نتعجَّبُ عندما يصفُ البعضُ انتفاضةَ الأقصى المباركة: بأنَّها السببُ في التردِّي الحالي، ووصول الوضعِ إلى هذا الحدّ اللاَّإنساني؛ الذي لم تصادفه القضيةُ الفلسطينية خلال أكثرَ من نصف قرن، برغم أنَّ الانتفاضةَ كانت وما زالت الخيارَ الأكثرَ إيجابيةً في التعاملَ مع معطيات ما يحدث على الأرض في فلسطين خاصة، وأنه لا يوجد على الساحة بديلٌ آخرُ يمكن أن يردع «شارون»، ويُعيدَ الحقوقَ الضائعةَ، ويصونَ الكرامةَ المُهانةَ. .

والسؤال المطروح في سياق البحث هو: كيف وصل الحالُ إلى ما هو عليه الآن، والذي وضع كيانَ الشعب الفلسطينيِّ بين مطرقة «شارون» وسَنَدانِ العجزِ العربيِّ والصمتِ الدوليِّ. . ؟؟

عندما عاد «شارون» من الظل إلى دائرة الضوء، كان يمكن للدبلوماسية الجماعية العربية أن تستفيد من نقاط ضعفه التي تأتي في مقدِّمتها أنَّه أكثر السَّاسة الإسرائيليين ـ في موقع السُّلطة ـ وضوحاً في الأهداف والمقاصد، فالرجل لم يُخفِ عداءَهُ للعرب، وأعتقد أنَّ تاريخه الدمويَّ شاهدُ عيانٍ على الجرائم والمذابح التي شاركَ فيها، أو كان بطلَها الرئيسي. . وسياسياً: تعتبر شخصية «شارون» من النماذج التي يَسهلُ محاصرتُها؛ لعدم تلوُّنها. فهو يفتقد إلى الحكمة والحِنْكة والديبلوماسية، ويختلف عن «شيمون بيريز»، مثلاً: بأنَّ هذا الأخيرَ قادرٌ على أنْ يُخفيَ

عداءَهُ وكراهيتهُ للعرب، ويرتدي عباءةً تُظهر عكسَ ما يُبطن . . ؟ - وما مجزرة قانا إلاَّ دليلٌ واضحٌ على ذلك - وعندما استخدم «شارون» القوةَ في زمنٍ من المُفترَض أن تتراجع فيه هذه الوسيلةُ كان بإمكان الدبلوماسية العربية أن تفضَحَ جرائمَهُ، وتَجرَّهُ رويداً رويداً إلى نفس المصير الذي وصل إليه الرئيس الصِّربيِّ السابقَ «سلو بودان ميلو سيفيتش». ولكن ما حدث عكسُ ذلك تماماً: ترك العرب لـ «شارون» الحبلَ على الغارب - كما يقول المثلُ الشائعُ - يفعل ما يريد دون رَدْعٍ أو مُراجعة، وأخذ المسؤولون عن القرار العربيِّ يجتمعون ويَنفضّون، ولم يحدث أن تجاوزت ردَّةُ فعلهم في أيِّ مرة مستوى الإدانة اللفظية، والأقوال الرافضة لسياسات «شارون» العدوانية . . !! وكأن القضيةَ الفلسطينيةَ لا تحتاج إلا لشيء من التَضامن العَاطفيِّ، ثم يُترك بعد ذلك الشَعبُ الفلسطينيُّ وجهاً لوجه مع «شارون»، يتلذَّذ في تعذيب وقتلِ أبناء الأمة، ويمتهنُ كرامةَ شعب وسلطة، محسوبَين على البُنيان العربيِّ المرصوص . . ويبدا واضحاً أنَّ التحرك العربيَّ البطيءَ أحياناً، والمتردِّدَ أحياناً أخرى ينتظر حصولَ تغيُّر مفاجئ في عقلية وسياسة «شارون» في اتجاه إحياء مسيرة السلام، رغم أن كلَّ الشواهد تشيرُ إلى أنَّه لا يريد سلاماً . . ؟ بل يريد حرباً؛ لاقتلاع الشعب الفلسطيني من أرضه.

فمنذ أن قام «شارون»، منذ نحو سنتين، باستفزاز مشاعر العرب والمسلمين، ودنَّسَ الحرمَ القدسيَّ الشريفَ في تظاهرة فَجّرت الانتفاضةَ الفلسطينيةَ الثانية، وهو يُمارس كلَّ صور العدوان والوحشية والإرهاب، مُستخدماً أساليبَ التجويع والحصار والإغلاق؛ لتركيع الشعب الفلسطينيِّ وسلطته الوطنية التي لا حولَ لها ولا قوّة.

لقد مارس سياسةَ الاغتيالات والتصفية الجسدية لرموز المقاومة الفلسطينية . . وحَشْدَ كلَّ ما في ترسانته من عَتاد حربيٍّ من طائرات (16F)، والأباتشي الأمريكية الصُّنع، ودبابات، ومدافع ثقيلة، وصورايخ وجَّهها لتدمير الشعب الفلسطينيِّ الأعزل من أيِّ سلاح غيرَ سلاح الصبر والإيمان، والحجارة: التي هي أدوات الانتفاضة . .

وأخيراً - عندما لم يجد رداً عربياً ولو كلامياً - فرضَ ما يُشبهُ الإقامةَ الجبريةَ - بل هي الجبريةُ - على «ياسر عرفات» في رام الله، بعد أن وصلت الدباباتُ والجنودُ الإسرائيليون إلى بُعد أمتار قليلة من مقرِّ الزعيم الفلسطينيِّ، ومنعوه - في أشد صور الإذلال - من مشاركة شعبه في أعياده . . !!

وتبقى الحقيقةُ التي لا يمكن أن تغيبَ عن أيِّ مراقب، هي: أنَّ السلطةَ الفلسطينية تساهلت كثيراً في تقدير كيفية التعامل مع «شارون»، وربما أعطت مُبرِّراً منطقياً لبقية الأطراف العربية، كي تتخذَ مواقفَ باهتةً تجاهَ القضية التي يُفترض أنَّها القضيةُ المركزية لكلِّ العرب. ونذكر على سبيل المثال لا الحصر: أنَّه في اللحظة التي كان يتفق فيها القادة العربُ على مجابهة «شارون» وردعه تضعُ السلطةُ الفلسطينيةُ كلَّ ثقتها في الراعي الأمريكيِّ، وتفتح حواراً أمنياً مع حكومة «شارون»، سُرعان ما يُنهيه ويُواصلُ عدوانَهُ وقمعَهُ للانتفاضة، ويُصعِّدُ من ضَرباته الموجعة مع كل عملية استشهادية يُعبِّرُ بها الشعب الفلسطينيُّ عن غضبه ورفضه للعدوان والاحتلال، والذي لم يعد يجد وسيلةً أمام الانتفاضة سوى العمليات الاستشهادية المؤلمة..

وفي التصور المنطقيِّ: إنَّ الطرف العربيَّ، والفلسطينيَّ على وجه الخصوص أهملَ الشعب الإسرائيليَّ من حساباته، الأمرُ الذي أدَّى إلى سقوطه في شراك «شارون» الخداعية، التي جعلت من السلام الحقيقيِّ مرادفاً للأمن، ورغم أنَّ الاستقرار الأمنيَّ هو نتاج للسلام الشامل، ولا يمكن أن يكون العكس..

هذا وقد أثبتت الأحداثُ: أنَّ «شارون» الذي وعد شعبَهُ بالأمن فَشلَ في ضمان لحظة أمنٍ واحدة، أو فترة هدوء واحدة.. حتى بلغ عدد القتلى من الإسرائيليين في انتفاضته ما يساوي أضعافَ ما خسرتهُ إسرائيلُ منذ حرب 1967م حتى اليوم. أليس هذا دليلاً واضحاً على فشل خطط «شارون» العدوانية وخسارة الأمن لشعبه.؟؟

وأصبح الهاجس الأمنيُّ - اليوم - هو المسيطرَ على سلوك الشارع الإسرائيليِّ، الذي بات يتوقع حدوثَ عملية استشهاديَّة هنا أو هناك بين لحظة وأخرى، وكان من الطبيعي أن يَستثمرَ التحرُّكُ العربيُّ والفلسطينيُّ على وجه الخصوص، معاناةَ الإسرائيليين في هذا الشأن، ويقومَ بتضخيم فشل «شارون» الأمنيِّ: سياسياً وإعلامياً، ويُجريَ مخاطبةَ الرأي العامِّ الإسرائيليِّ؛ لإقناعه بأنَّ الأمن لن يتحقق إلا بالسلام الشامل والعادل، والمرتبط عملياً بقيام دولة فلسطينية ذات سيادة، تكون عاصمتَها القدسُ الشرقيةُ. فبدلاً أن يكون ذلك هو الفعلُ العربيُّ تركوا «شارون» يُقنعُ شعبَه، بأنَّ الضمانَ الوحيدَ لأمنه المفقود هو: تصفيةُ الكيان الفلسطينيِّ...

لا شك أنَّ «شارون» ما كان يجرؤ على ممارسة عدوانه لـولا تَيقُّنه من العجز العربي على ردعه ووقفه عند حدّه، وفي الوقت نفسه لا بدَّ أن نؤكد على أنه لو كانت هناك عدالة دوليةٌ في عالمنَا المعاصر، وأمَمٌ متحدةٌ مستقلةٌ في قراراتها، ما كان «شارون» يجرؤ أيضاً على انتهاج سياسته المتصلبة وارتكاب جرائمه بحق الشعب الفلسطيني.

إن العالم اليوم في سياسة القطب الواحد بات خاضعاً لإرادة قوة واحدة هي الولايات المتحدة تتعامل مع الآخرين من منطق مصالحها ونُفوذها فقط، دون أيِّ اعتبار لمصالح هؤلاء الآخرين، ولعلّ ما حدث على الساحة الدولية بعد أحداث: الحادي عشر من أيلول (سبتمبر)، يؤكِّدُ أنه لا يوجد مَن يراجع السياسةَ الأمريكيةَ في صراعه مع الجانب الفلسطينيِّ، فسعى إلى عزل القيادة الفلسطينية عن الرئيس الأمريكيِّ «جورج دبل يو بوش» الذي مرَّ أكثرُ من عام على تولِّيه السلطةَ دون أن يلتقيَ بالرئيس «عرفات»، وبعبارة أخرى: عمّق «شارون» من الانحياز الأمريكيِّ لإسرائيل، وحصل على الضوء الأخضر من الإدارة الأمريكية للمُضيِّ في سياسة تصفية الكيان الفلسطينيِّ. هذه هي الصورة المحزنةُ التي وصل إليها حالُ الشعب الفلسطينيِّ، ولكنَّ أشدَّ ما يؤلم أيَّ عربيٍّ هو: أن يُراق الدم العربيُّ بأيد عربية، وما يحدث من اقتتال فلسطينيٍّ ـ فلسطينيٍّ أحياناً هو في الحقيقة أقصى ما يتمنَّاه «شارون» لتحدُثَ التصفيةُ الذاتيةُ للشعب الفلسطينيِّ دون الحاجة لمطرقته؛ للإجهاز على القضية الفلسطينية المُسجّاة على سَندان العجز العربي والصمت الدوليِّ.. فأين أنتم يا قادةَ العروبة والإسلام.. !!؟؟؟

«شارون» بين الإفلاس السياسي والعجز عن تحقيق الأمن:

منذ إعلان «شارون» خُطّته الجديدةَ لعزل المناطق الفلسطينية في خطابه السياسيِّ، وحملة الرفض لسياسة تتزايد من الداخل والخارج على أساس خُلوِّ خطابه من أيِّ أمل للوصول إلى السلام المنتظَر مع الفلسطينيين، وتحقيق الأمن الذي وعد به الإسرائيليين منذ توليه السلطةَ قبل ما يزيدُ على العام، وقد تبارى اليسارُ واليمينُ الإسرائيليُّ في الهجوم عليه وعلى خطابه، كُلٌّ وفقَ أهدافه، وأطلقوا عليه أوصافاً عديدة يستحقُّها، منها: السفيهُ، وأنَّ خطابهُ مُخيِّب للآمال، وعبارةٌ عن تمثيلية هزلية، وتحولَّ زئيرُ الأسد إلى هواء، وكأنَّ خطابه كاريكاتيرٌ باهتٌ لخطاب «تشرشل» إبَّان الحرب العالمية الثانية، وغيرها من أبعاد حملة الرفضِ الشديدِ والانتقادِ الحادِّ، التي تتفقُ تماماً

مع رفض المجتمع الدولي لسياسته الوحشية ضدَّ الفلسطينيين وقياداتهم، وعلى رأسهم «عرفات»، والتي أدَّت بإصراره وتعنّته إلى تجميد عملية السلام.

والأمر المؤكد أولاً: أنَّه لو أنَّ الإدارة الأمريكيةَ، وسط هذا الرفض من الداخل والخارج، وبما لها من تأثير قويٍّ وفعَّال، كرعاية أولى للسَّلام، مارست ضغطَها على «شارون»، لاستطاعت إنقاذَ عمليَّة السلام مِن هذا النَّفَق المظلم الذي وضعها فيه.

والأمر المؤكَّد ثانياً: أنَّ رؤية زعيم مصر «مبارك»، ومصداقيَّةَ سياسته، كشفت منذ وقت مبكر، أنَّ «شارون» ليست لديه سياسةٌ ولا خُطةٌ للسلام، وقد أتت قمة «مبارك» و«بوش» في واشنطن من أجل التوصُّل إلى السلام العادل والشامل، ووَقْف التدهور في الأراضي المحتلة، ومنطقة الشرق الأوسط؛ لأنَّ سياسة العنف والحصار والاغتيالاتَ التي تمارسها إسرائيل تؤدي إلى تصاعدَ الموقف، وأنه قد حان الوقت كي تقوم الولايات المتحدة بدورٍ نشيطٍ ـ وغيرِ منحازٍ طبعاً ـ . .

فما الذي تحمله الخطة الشارونية الجديدة من مخاطر، وكيف واجهتها حملة الرفض الإسرائيلي والعالمي . . ؟

ولسوف نحاول رصد نماذج لهذا الرفض مما خرج من داخل إسرائيل وخارجها، ومما سجلته التحليلات السياسية والعسكرية لعدد من خبراء السياسة والعسكرية التي تناولت الإجابة على هذه التساؤلات، وكانت على النحو التالي:

في كلمة «شارون» التي سمَّاها: خطابُه إلى الأمة، كشف عن وجهه القبيح بإعلانه عن خطة لإقامة مناطق عازلة بين الأراضي الفلسطينية وإسرائيل، بزعم أن ذلكَ يحقق الأمن الذي وَعَد به، مؤكداً أن الحكومة الأمنية وافقت على ذلك في الأيام الأخيرة، وناشد الإسرائيليين التحلِّيَ بالهدوء والصبر في الموقف الراهن الذي يمرُّ بهم، وعدم اتخاذ أية ردود فعل متعجِّلة . . ؟ لكنه على العكس تماماً، بمجرد إذاعة الخطاب عبر الإذاعة والتلفزيونَ سارع الخبراء العسكريون والسياسيون يؤكدون أن تنفيذ هذه الخطة سوف يتطلب وقتاً، وأنها غير قابلة للتطبيق على أرض الواقع، وتساءلوا عن كيفية حماية أكثر من 140 مستعمرة (مستوطنة) في الضفة وغزة، وأنها لن تكون ذات فاعليةٍ بشكلٍ كاملٍ إلاَّ إذا كانت مصحوبةً بانفصال سياسيٍّ عن المناطق الفلسطينية،

كما أنها تتضمن زرعَ ألغام، وحفرَ خنادق، وإقامةَ أسوار إلكترونية، وحواجزَ خرسانية، وتنظيمَ دوريات للجيش، كما أشار الخبراء إلى: أنه ليس واضحاً إلى أيِّ مدىً ستمتدُّ هذه الخطة، التي ستشمل أجزاء فقط من الخط الأخضر الذي يَفصلُ بين إسرائيل والأراضي المحتلة، وكلُّها أمور تحتاج إلى توضيح لم يتناوله الخطاب. . ويرى الخبراء أن لجوء «شارون» إلى هذا الخطاب ليس سوى محاولة منه لخَطْب وُدِّ الإسرائيليين، بعد أن عجز عن تحقيق الأمن، وأفلَسَ سياسياً، ويحاولُ إسكاتَ أصوات مُعارضيه، ومناشدته لهم تهدئة نفوس المواطنين، خاصةً أنه على امتداد ما يزيد على عام ونصف كامل فشل في إقناعهم بأنَّ لديه خطةً أو برنامجاً سياسياً واضحاً، ولذلك تبارى اليسار واليمين كل وفق إيديولوجيته في رفض خطته بصفة خاصة وسياسته بصفة عامة، وأشاروا في حدة وعنف إلى فشله في تقديم الكثير لضمان أمن إسرائيل.

وتوالت ردود الأفعال الغاضبة حيث وصفه وزير العدل «يوسي بيلين» بـ السفيه، مؤكِّداً ضرورةَ التوصل لاتفاق نهائيٍّ مع الفلسطينيين، ووضع حدٍّ للعنف بين الجانبين، وليس التحدث عن اتفاقية مرحلية مُصطَنعة أكلَ الدهرُ عليها وشرب. ، وأعرب «يوسي ساريد» زعيمُ المعارضة اليسارية في الكنيست عن خيبة أمله قائلاً: إن خطاب «شارون» يخلو من أيِّ أمل للوصول إلى السلام المنشود بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيليِّ.

أما «إسحاق ليفي» رئيس الحزب القومي الدينيِّ، فقد وصف خطابَ «شارون» بأنه مخيّب للآمال، وهو عبارةٌ عن تمثيلية هزلية، ووقتٍ تلفزيونيٍّ ضائعٍ لا جديدَ فيه، وقال: إنَّ «شارون» يستهين بمشاعر الشعب الإسرائيليِّ. .

أما الصحف الإسرائيلية: فقد اعتبرت الخطابَ بمثابة كاريكاتير باهت لخطابات رئيس الوزراء البريطانيِّ «ونستون تشرشل» إبَّانَ الحرب العالمية الثانية.

وذكرت صحيفةُ (ها آرتس) في افتتاحيتها بعنوان: زئير الأسد تحوَّل إلى هواء، وأنَّ رئيس الوزراء قال كلاماً جميلاً، لكنه لم يُعط المواطنَ ما يُطمئنُهُ ويَنشُلُهُ من يأسه.

أما صحيفة (يد يعوت أحرونوت) واسعةُ الانتشار، فإنها قالت: كنا ننتظر برنامجاً سياسياً، وليس درساً أخلاقياً»، وأنَّ الخطاب لم يَلقَ استحساناً لا لدى اليمين ولا لدى اليسار.

وأمام ردود الفعل الغاضبة التي ترجمتها الصحافةُ الإسرائيليةُ، أظهر استطلاع للرأي، أجرتهُ صحيفةُ (يد يعوت أحرونوت) انخفاضاً في شعبية «شارون» من 70٪ إلى 54٪ في غضون ثلاثة أشهر فقط.. !!

رأي المجتمع الدولي في سياسة «شارون» العدوانية (الشريرة):

لقد أعلن المجتمعُ الدوليُّ على ألسنة قادته وزعمائه رفضَهُم المطلقَ لسياسة «شارون» العدوانية ضدَّ الشعب الفلسطينيِّ، والمقاومةَ الشرعيَ للفلسطينيين، وإصراره على تجميد عملية السلام. فإنَّ الصحافةَ العالميةَ هي الأخرى أعلنت هذا الرفضَ، واعتبرت وجودَ «شارون» عقبةٌ أمام السلام، وطالبتهُ بالرَّحيل، قبل فُقدان زمامِ السيطرة وإحلالِ الفوضى بدلاً من النظام،

جاء في المقالة الافتتاحية ـ كموضوع رئيسيٍّ ـ لصحيفة (الغارديان) البريطانية يوم: 23 شباط الماضي (فبراير) 2002م، حينما تحدَّثت الصحيفةُ عن موقف رئيس الوزراء «شارون» في ضوء خطابه، وقالت: إنَّ كلَّ استطلاعات الرأي العام أشارت إلى تراجع شعبيته إلى حافة الانهيار، بعدَ ارتفاع عدد القتلى الإسرائيليين أمام استمرار موجة العمليات الفلسطينية إلى أرقامٍ لم تحدث في تاريخ المقاومة، خاصةً وأنَّ هذه العمليات اكتسبت نقلةً نوعيةً باستهداف الجنود والمستعمرين الإسرائيليين (المستوطنين).

وقد اعتبر المعلِّقون الإسرائيليون أداءَ «شارون» في خطابه الأخير غيرَ مُقنعٍ بالمرة، ويَعكسُ عُمقَ أزمته الداخلية؛ بسبب التصعيد النوعيِّ في الهجمات الفلسطينية، وفشل سياسته العسكرية في تهدئة مخاوف الرأي العام الإسرائيليِّ في مسألة الأمن، أو إقتراح أيِّ علاجٍ لحالة الركود الاقتصادية المتفاقمة بسبب استمرار الانتفاضة. وقالت (الغارديان): إنَّه لا بد من أن يرحل «شارون»؛ لأنه أصبح عقبةً كؤوداً أمام السلام. وقالت: إنَّ الشيء الوحيدَ الذي غاب عن خطابه، وكان يجبُ أن يُعلنَه كأهم عناصر حلِّ الموضوع المعتقد الراهن هو: أنْ يَعرضَ استقالتَهُ، بعد أن أصبح جزءاً أساسياً من المشكلة وليس الحل، كما خَلصت الصحيفةُ إلى: أنَّ «شارون» غيرُ مؤهَّلٍ لإحداث تقدُّمٍ نحو السلام، ولا بدَّ عليه من التنحِّي قبل أن يَحلَّ بوجوده كارثةٌ في غاية الضرر على إسرائيل.. !!

أما صحيفة (الصنداي تليجراف) البريطانيةُ فقد قالت: إنَّ دعوة إسرائيل إلى هُدنة أسبوع، تؤكِّدُ أنَّ شعبية «شارون» تتهاوى، واعتبرت أنَّ الهدنة أُعلنَت في وقت ما زالت فيه الحكومة الإسرائيليةُ مرتبكةً حول كيفية التعامل مع التصعيد الأخير في العنف، وأكدت أنَّ هذا الإعلان أثارَ استياءَ المتشدِّدين في إسرائيل؛ الذين كانوا يطالبون برد عنيف على الهجمات الفلسطينية.

أما صحيفة (الأندبندت أون صنداي)، فقد نقل عنها راديو لندن: أنَّ أمريكا تضغط على إسرائيل بعد أن اتَّضحَ فشلُ سياسة «شارون»، وبعد أن ركَّزت الأسابيعُ الماضيةُ الضغطَ على الرئيس الفلسطينيِّ «عرفات» بوقف العنف، وسمحت لـ «شارون» بحصاره، والآن جاء الردُّ عليه لعدة أسباب، منها: أنَّ «شارون» لم يوضِّح أيَّ مطالب عملية في خطابه إلى الشعب الإسرائيليِّ.

كذلك فإن صحيفة (الصنداي تايمز) قالت: إنَّ الهُدنةَ المعلنةَ قد تَمَّ اختراقُها على أرض الواقع؛ حين أصاب الجنودُ الإسرائيليون ستةَ فلسطينيين في قطاع غزة، بينهم صبي في الحادية عشرة من عمره، أُصيب في ظهره برصاصة، كما قتلت فلسطينياً أعزلَ كان يجري أمام إحدى النقاط العسكرية مُهلِّلاً: الله أكبر.

ووصفت صحيفة (الواشنطن بوست) الأمريكية، يوم: 23 شباط الماضي (فبراير) تصريحات «شارون» بشأن الفصل بين الفلسطينيين والإسرائيليين: بأنَّها حرب «شارون»، وأنَّ استراتيجيتَه لإنهاء أعمال العنف قد فَشلَت، وأدت إلى تصعيد الصراع، والمبادرة إلى إشعال فتيله خلال فترات الهدوء النسبيِّ، وأنَّ سياسته أضعفت السلطةَ الفلسطينيةَ، ولن تؤدِّيَ في النهاية إلى السلام، بل إلى تدهور تدريجيٍّ في هذه الحرب.

هذه مجرد نماذجَ لحالة الغَلَيان الذي تعيشه إسرائيلُ بسبب إسراف وتَعسُّف رئيس حكومتها «شارون» على تجميد عملية السلام باستمرار خططه الجهنَّمية الوحشية لعزل وحصار واغتيال الفلسطينيين، التي تتنافى مع جميع القرارات والتعهدات الدولية، ويرفُضُها المجتمعُ الدوليُّ؛ باعتبارها تُضاعفُ من حدَّة العنف، وتدفعُ المنطقة إلى حافة الهاوية. كما تُهدِّدُ مصالحَ شعوب المنطقة والعالَم، وهو ما يَحرِصُ زعيمُ مصر «حسني مبارك» على تَجنُّب وقوعه، من خلال جهوده واتصالاته المتواصلة مع زعماء وقادة العالَم، لاحتواء هذا الموقف المتدهور،

وعودة الطَّرفَين إلى مائدة المفاوضات، بهدف إقرار السلام الشامل والعادل، وفي هذا الإطار تأتي محادثاتُهُ المهمةُ غداً مع الرئيس الأمريكيِّ «جورج بوش» في الولايات المتحدة.

هذه آراءُ وأقوالُ وكتاباتُ الصحف الرئيسية في بريطانيا، وأمريكا، عن سياسات «شارون» العدوانية الإجرامية، وهذا يؤكد من خلال هذه الصحف لإسرائيل: أنَّ «شارون» هو مجرمُ حربٍ وعدوانيٌّ، وسياستُهُ هي السياسةُ الشريرةُ في المنطقة.

خطة «شارون» ـ السرّية ـ وغلاة الإدارة الأمريكيين:

لا يزال رهان الفريق الأكثر نفوذاً في الإدارة الأمريكية على تغيير بُنَيَويٍّ في السلطة الفلسطينية، يؤدي إلى إقرار الأمر الواقع، والانطلاق منه لتهدئة الوضع في المنطقة، تمهيداً للمرحلة الثانية من الحرب على الإرهاب، التي تشمل: ضربَ وتقسيمَ العراق، فتسوية أوضاع المنطقة بإعادة تركيبها وفرض الأمر الواقع الإسرائيليِّ بما حققه من استيلاء على معظم أراضي الضفة الغربية، وترويض السلطة الفلسطينية كمدخلٍ للسلام. ويَعتقد غُلاةُ هذا الفريق أنَّ هناك خطوطاً حمراءَ في أية تسوية هي:

1 ـ عودة اللاجئين، فلا مجال لعودة أحد، ويمكن توزيعهم على الدول العربية وكندا وأمريكا.

2 ـ العودة لخطوط الرابع من حزيران، لأنَّ العودة معناها الخطر الكبير على أمن وحياة إسرائيل.

3 ـ قيام دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة في أي جزء من الضفة الغربية وقطاع غزة.

وبذلك يكون غُلاةُ الإدارة الأمريكية قد تَبَنَّوا الموقفَ الشارونيَّ، وأصبح سقفُ السلام المطلوب والممكن هو الأمرُ الواقع.

ويعتقد هؤلاء ـ استناداً إلى دراسات أعدَّتها مراكزُ الأبحاث الموالية لها ويتحكم بها القرار الصهيونيُّ ـ: أنَّ موضوع اللاجئين يحمل بذورَ فناء وانهيار الدولة العبرية. لذلك كان لا بدَّ من حلٍّ له في اتجاه التوطين في البلاد العربية وغيرها، لا العودة.

وقد أكدت دراسةٌ لأحد فروع المؤتمر اليهوديِّ العالميِّ أنَّ هنالك أكثر من مكان لتوطين الفلسطينيين، وقد قسَّمتها إلى ثلاث مناطق:

آ ـ منطقة «آ» وتشمل: العراقَ، وليبيا؛ بوصفهما بلدَين نفطيين ومُتَّسعَين جغرافياً، ويمكنُ لهما استيعابُ العدد الأكبر من اللاجئين، وتعطي الدِّراسةُ لليبيا أولويةً بسببَ بُعدها الجغرافيِّ عن فلسطين، في حين تعطي العراقَ المركزَ الثانيَ، مع الحرص على أن يكون التوطين في المناطق البعيدة عن الحدود الأردنية التي تشكل امتداداً جغرافياً لفلسطين.

ب ـ منطقة «ب»: وتشمل: المملكةَ العربية السعوديةَ قريباً من حدودها مع اليمن.

جـ ـ منطقة «جـ»: وتشمَلُ بلاداً أجنبية تأتي أستراليا وكندا والولايات المتحدة الأمريكيةُ في طليعتها. . أما مقدار حصَّةِ كلِّ بلد فهي كالآتي:

تقدِّرُ الدراسةُ حصَّةَ ليبيا بـ: مليوني فلسطينيٍّ، وحصَّةَ العراق بـ: مليون، وحصَّةَ الجزيرة العربية بـ: نصف مليون، والباقي بعيداً في كندا وأوستراليا، والولايات المتحدة الأمريكية، على أن يدفع النفطُ العربيُّ ثمنَ التوطين ونفقاته ـ طبعاً بضغط من الولايات المتحدة ـ.

أمَّا في موضوع خطوط الرابع من حزيران، فإنَّ الدراسة التي تُثيرُ اهتمامَ هذا الفريق من الغُلاة تُشير إلى: أنَّ قيام حدود نهائية هو أمرٌ في غير مصلحة إسرائيل. . ولذلك فإنَّ إبقاء الحدود مفتوحةً ـ وهو موضوع مباحثات بعد قيام السلام، والعلاقات الطبيعية ـ هو الوضعُ الطبيعيُّ الذي سيطول؛ بحيث تتلاشى تلك الحدود مع الزمن، ويصبح الأمر الواقعُ هو التسوية.

وقد اقترحت دراسة استراتيجيةٌ أشرف عليها اللُّوبي الصهيونيُّ في أمريكا، إحصاءَ الثروات العربية في الخارج، والموجودات والأموال النقدية في المصارف الغربية، بما في ذلك: السويسرية والنمساوية والأمريكية لتحقيق هدفَين رئيسين:

1 ـ مراقبة حركتها ونموها، وضبط سلوكها السياسي.

2 ـ اقتراح فرض 10٪ ضريبة على هذه الثروات؛ بهدف توفير الأموال اللازمة لتوطين اللاجئين الفلسطينيين، سواء في بعض الدول العربية، أو في الخارج.

هذا ويُقرُّ أولئك بأنَّ موضوع الجولان السوريِّ يبقى العُقدةَ الأصعبَ؛ بسبب موقف القيادة السورية المتشدِّد، وإصرارها على مرجعيات مدريد والقرارات الدولية ذات الصلة، ولذلك فهم ينصحون برفض أيّة تسوية أو مشاركة لسورية في المرحلة الأولى من الاجتماعات؛ بحيث تبقى منفردةً، ليَفرضُوا عليها تسويةَ ما يُسَمُّونَه: شراكةَ السيادة على الجولان، ونزع السلاح، وإقامة مناطق مشتركة وحرّة. وهذا مما لا تقبله القيادة السورية وشعبُها القويُّ.

أما في الموضوع الفلسطيني والدولة، فيعتقد أولئك والدراساتُ التي تستهويهم، أنَّ أيَّ دولة فلسطينية يجب أن تكون مفتوحةَ الحدود، وبغير سيادة، ومنزوعةَ السلاح، وبغير تمثيل خارجيٍّ، ما عدا بعض المكاتب في دول عربية محددة، مثل: مصر، والأردن. وهم يعتقدون أنَّه على المدى الطويل، وبعد أن تكون التسويةُ النهائيةُ قاربت نهايتها، فإنَّ الأردن سيكون عبْئاً، لا بدَّ من تصحيح وضعه في اتجاه إقامة مجتمع فلسطيني، مجتمعٍ لا دولة..، ويَمنحُ الفلسطينيين شعوراً نفسياً بالوجود والحياة، ويَنزِعُ عنهم أيةَ أحلام مستقبلية.

هذه هي بشكل عام القناعاتُ التي تُهيمنُ وتسيطرُ على فريق الغُلاة في الإدارة الأمريكية، وهو الفريق الذي يَعتقد: أنَّ أحداث 11 أيلول (سبتمبر) قد فرضت واقعاً جديداً في كلِّ مناطق العالَم الاستراتيجية المختلفة، وبينها الشرقُ الأوسط، ولا يُخفي أولئك أنَّ جميع القرارات الدولية ذات الصلة، من: مدريد إلى القرارَين 242 و338 إلى غيرها من القرارات، قد سقطت بمرور الزمن، وبالتغييرات الجديدة التي فرضت واقعاً جديداً ـ طبعاً تقوده الولاياتُ المتحدة الأمريكيةُ..

أما عن لبنان، الواقعِ في المدى الحيويِّ لإسرائيل، فيعتبرونَهُ عبئاً وورقةً من أوراق التسوية، ومن المفيد إبقاءُ وضعه مفتوحاً على كلِّ الاحتمالات، بما فيها مبدأ المقايضة عليه بالجولان...

هذا أهم ما يتداوله الغُلاةُ في الإدارة الأمريكية، محاولين فرضَهُ، مُستفيدين من الوضع الدوليِّ، ومن جنون «شارون» الذي خلق واقعاً جديداً على الأرض، يصعب تجاوزه بأية تسوية أو بحثٍ أو مشروع أو حل..!!

السرطان الإسرائيلي يدمر الفلسطينيين، وينذر العالم بخطره:

جاء في صحيفة (اللومند) الفرنسية مقالاً عن السرطان الإسرائيليِّ: لـ(«دانييل سالنيف»، و«سامي فيير»، و«إيدجرمورين» / ترجمة: محمد هاني عطوي):

ظهر ما يُسمَّى «بالسرطان الإسرائيليِّ» على الفلسطينيين، انطلاقاً من حالة مرضية إقليمية، تمثَّلت في تأسيس دولتين على أرض واحدة. وكان هذا السرطان مصدراً لمَرَضَين سياسيين:

أحدهما: تولد من جرّاء الهيمنة، والآخرُ: نشأ من الشعور والحرمان.

وقد بدأ المرض يَستفحلُ جرّاء التشبُّع بفكرة العذاب التاريخيِّ لليهود؛ بوصفهم: شعب تعرّض للاضطهاد في أوربا، إضافةً إلى الشعور بعدم الأمان الجغرافيِّ.

ومن ناحية أخرى تولَّد الشعورُ ذاتُه عند الفلسطينيين، وازداد سوءاً نتيجةً للبؤس الذي وقع فيه هذا الشعب بعد تعرُّضه للاضطهاد في ماضيه وحاضره، إضافةً إلى حرمانه من حقِّه السياسيِّ في حصوله على وطنٍ يعيشُ فيه بكرامة - وخاصةً أنَّه صاحبُ أرض فلسطين كلَها..

وعلى حدّ قول الأديب الفرنسيِّ «فيكتور هيغو»: ((مظلومُ الأمس، ظالمُ اليوم)). تُظهرُ إسرائيلُ نفسَها أنَّها الناطقُ الرسميُّ لليهود الذين تَعرَّضوا لاضطهاد متكرِّر عبرَ القرون الماضية، وصولاً إلى محاولة التخلُّص منهم على أيدي النازيين. وكانت عمليةً ظهور إسرائيل كدولة شديدة الاضطراب بعد عداء العرب لها، الأمر الذي كان يُنذر بوأدها في المهد، ومنذ قيامها غَدَت إسرائيلُ قوةً إقليميةً لا يُستهان بها، مستفيدةً من الدعم اللامحدود للولايات المتحدة، ومتسلحةً بعدد لا بأس به من الرؤوس النووية.. ضمن هذا السياق، ادَّعى «شارون» بأنه سيواصل الكفاحَ من أجل بقاء إسرائيل، وذلك باللجوء إلى قمع وخنق الفلسطينيين، إضافةً إلى تدمير المدارس والسِّجلاَّت والوثائقَ، وهدمِ البيوت على أصحابها، وتحطيمِ شبكات المياه والكهرباء، وتنفيذِ مذبحةٍ بشعة في جنين، وعدمِ الاعتراف بتلك الجريمة ونتائجها الوخيمة.

والواقع أنَّ مبرِّرَ أو حجَّةَ المحافظة على البقاء، لم تَزد الأمورَ إلاَّ تعقيداً عند الإسرائيليين، إذ أثارت لديهم ذكرى حرب 1948م، وبدا أمامهم طيف معسكرات «أوزفيتش» في النمسا، وأصبح الماضي الباطلُ حاضراً وهمياً، وبهذه الطريقة أدت

الانتفاضة الجديدةُ، إلى إحياء القلق القديم، وأوصلت إلى السلطة في إسرائيل فاتحاً مِغواراً لا يَأبه بأحدٍ ـ ولا يسمع لأحد ـ اسمُهُ: «شارون».

وبنظرة دقيقة إلى الأمور، نرى: أنَّ «شارون» المغوارَ، يُعرِّضُ فُرَصَ بقاء إسرائيل في الشرق الأوسط إلى الخطر الشديد، خاصةً وأنه مقتنع تمامَ الاقتناع أنه يعمل في الوقت الراهن على ضمان أمن إسرائيل عن طريق الرعب والإرهاب.. والواضح أن «شارون» يجهل بحقّ، أنَّ نصرَ اليوم يليه انتحارُ الغد.

من جهة ثانية، يلاحظ: أنَّ (حماس) تمارسُ السياسةَ التي يُمارسها «شارون».. ولكنْ على المدى البعيد نجدُ أنَّ «شارون» هو الذي يُطبِّقُ سياسةَ (حماس) ـ على أنَّه هو المعتدي ـ. وإذا كانت الانتفاضةُ نجحت إلى حدٍّ ما في دفع إسرائيل نحوَ التفاوض، إلاَّ أنها أسهمت في إحياء الخوف عند الضحية مرةً ثانية. وجَعلَتها في قلق دائم من العمليات الاستشهادية، ودفعتها إلى الانتقام بأشدِّ صور الفتك بشاعةً؛ حفاظاً على حياتها من التهديد. وإذا لم يُباشر أحدٌ من الخارج في إيقافَها، فإن «إسرائيل شارونَ» تسير في اتجاه في أقلِّ التقديرات: إلى جعل الأراضي الفلسطينية «بانتوستانات» منعزلةً، على غرار ما تمَّ فَعلُهُ في جنوب إفريقية مع السُّود في الفترة الواقعة بين عامَي 1950 ـ 1994م.

بيد أن شعور اليهود بأنهم كانوا ضحيةً، لا يُبرِّرُ لهم أن يصبحوا ظالمين وقامعين لغيرهم، كما أنَّ كلمة: «المحْرَقة»؛ التي تجعل من اليهود الضحيةَ التاريخيةَ، تضرب بعُرضِ الحائط جميعَ الشعوب التي اضْطُهدت في العالم، كـ: شعوب الجولاج، والتزيجان (الغجر)، وعبيد إفريقيا، والهنود الحمر. وتَصبحُ الكلمةُ الشرعيةُ التي تبرِّرُ لليهود استعمارَ الآخرين، وممارَستَهُم للتميز العَنصريِّ، ووضعَ الفلسطينيين في غيتوات أو أحياء منبوذة. ولا بُدَّ أن نلاحظ: أنَّ شعور الإسرائيليين بأنَّهم كانوا ضحيةً، ليس إلاَّ نظرةً أحاديةَ الجانبَ فيما يتعلَّق بنظرتهم للوضع الراهن، أو الأحداث عامّةً... ومنذ ظهور الصهيونية وإطلاقها مقولة: ((شعبٌ بلا أرض لأرض بلا شعب))، لاحظنا أنَّ الشَّعب الفلسطينيَّ قد خفَّ ذكرُهُ، وانكسف أمرُهُ كسوفَ الشمس، وأصبح الحديثُ عن اليهود ومنحهم أرضاً أو وطناً هو المسيطرُ على المسرح السياسيِّ، وكان ذلك تغييباً لحقِّ الفلسطينيين بالحَصول يوماً ما على وطنٍ وأرض.

والطامَّة الكبرى أنَّ إسرائيل تنظرُ إلى إرهاب الدولة الذي ترتكبه بحق المدنيين الفلسطينيين على أنَّه دفاعٌ مشروعٌ عن النفس، ولا ترى الإرهابَ الحقيقيَّ إلاَّ فيما يقوم به الفلسطينيون، وربما تنسى إسرائيلُ، أو تتناسى أنَّ القرارات أحاديةَ الجانب التي تتخذها هي التي تُحمِّلُ «عرفات» بمفرده فَشلَ مفاوضات الحلِّ النهائيِّ بينها وبين السلطَة الفلسطينية، لكنها لا تكُفُّ عن إخفاء الحقيقَة الواضحة؛ أنَّها منذ اتفاقيات (أوسلو)، لم تتوقَّف عن سياسة احتلال الأراضي، بل وتَعتبرُ أنَّ الحفاظَ على وَتيرة بناء المستوطنات، والتحكُّمَ في نهر الأردن، ووضعَ يدها على الأجزاء المتفرقة من الأراضي المحتلَّة، هي بمثابة «العَرْضِ السَّخيِّ»: الذي كَسبتهُ في مفاوضاتها الأخيرة. . وإلى جانب ذلك، هناك توازنٌ مُزيَّفٌ بين «عرفات» و«شارون»، فـ«شارون» رئيسٌ لقوّة قادرة على تحدِّي الأمم المتحدة، وتوبيخ الولايات المتحدة اللَّينة، في حين نجد أنَّ «عرفات» يَرزَحُ دائماً تحت ضغوط الأمم المتحدة، والولايات المتحدة، التي تُطالبُهُ دائماً، وبشكل مستمرٍّ العملَ على إيقاف التفجيرات، أو العمليات الانتحارية. والواقع أنَّه من الصعب علينا أنْ نتخيل أنَّ شعباً من المتشرِّدين تَعرَّض ـ كما يقول ـ طوالَ حياته للاضطهاد والمذلَّة والمَهانة، يصبحُ أو يتحوَّلُ خلال جيلين إلى شعب مُحتلٍّ وواثق بنفسه وبأعماله. . !! ويشعرُ بالرِّضى التامِّ لدى إهانته لشعب سُلبَت منه أرضُهُ. . ومما يُثيرُ العَجبَ أنَّ الأوساط الإعلامية الغربيةَ لا تُظهرُ طُرقَ الإذلال اللامتناهي للفلسطينيين عند نقاط التفتيش، ولا تُظهرُ الحقائقَ المتمثلةَ في هدم البيوت، واقتحامها، وإخراج الناس منها إلى العَراء، وتعريضهم لأشد أنواع المهانات. وما إنْ تظهر علاماتٌ أو ملامحُ ثورة ضدَّ المحتلِّ، حتى يُبدي هذا الأخيرُ حُنقَه وقَسوتَهُ التي لا حدود له؛، إذ يشرع ـ كما حدث في الأيام الأخيرة خلال غزوه للضفة الغربية ـ بنهب البيوت، ثم تدميرها فوق أصحابها، وفي كلِّ ذلك يتصرَّفُ الإسرائيليون على أنهم شعبٌ مختارٌ، وعِرقٌ أسمى من الأعراق البشرية الأخرى.

وإزاءَ هذه الأوضاع الدراماتيكية يصبحُ واضحاً كيف نفسِّرُ تصرفات الفلسطينيين حين يلجؤون إلى نسف أنفسهم، أو يُحوِّلونها إلى قنابلَ بشرية، وأعتقدُ أنَّ مَن لا يرى سوى الدبابات والمدافعَ، ولا ينظرُ إلى الذلِّ والمَهانة التي يتعرَّضُ لها الفلسطينيون، فليست لديه سوى نظرة أُحادية البُعد للتراجيديا الفلسطينية. . . وإنْ شئنا الحديثَ عن الإرهاب، فنلاحظ أنَّ هذه الكلمةَ استُخدِمت في غير موضعها من قبل المحتلِّين والغُزاة والمستعمرين، وذلك لوصف الوطنية، وربما ينطبقُ هذا الوصفُ على أولئك الذين كانوا يرتكبون جرائمَ بحقِّ المدنيين أثناء الاحتلال

النازيِّ لأوربا، لكنْ من غير الملائم على الإطلاق أن نصفَ المقاومةَ الوطنيةَ بالإرهاب مهما كان نوعها. إضافةً إلى ذلك: هناك فارقٌ كبيرٌ بين الإرهاب المخفيِّ، وإرهاب الدولة المُنظَّم: الذي يَمتلكُ كافَّةَ الأسلحة الفتاكة لتنفيذ إرهابه. وهل تصبحُ الألسنةُ خرساءَ عندما يموت المدنيون الفلسطينيون بقنابل لا بشريةَ.. !!؟

وبعد الآن لا يجب علينا أن نتساءل عن هؤلاء الشُّبّان والشابَّات الذين يُفجِّرون أنفُسَهم لقتل الإسرائيليين. فعلاوةً على حالة اليأس التي يعيشها هؤلاء، لا بُدَّ لنا أن نتذكر الفكرَ الثأريَّ الذي ينشأ عليه هؤلاء الصبيةُ في منطقة كالشرق الأوسط. ففكرة الثأر لردِّ الاعتبار لأب تَعرَّضَ للإذلال، أو أُمٍّ تعرَّضت لإهانة لا تُنسى عند أناس هذه المنطقة إلاَّ باللجوء إلى الانتقام، فكيف إذا كان الانتقامُ من محتلٍّ؛ قَتلَ وسَرقَ ونَهَبَ الأرضَ..؟ وفوق كلِّ ذلك هناك ظاهرةُ تمجيد الشهيد الذي يُضحِّي بنفسه من أجل أن يحيا شعبُهُ..

ودون أدنى شكٍّ يوجد وراءَ هذه الظاهرة تنظيماً سياسياً ـ دينياً يُموِّلُ الشهداءَ بالسلاح والمتفجرات والخُطط، ويَشحذُهُم نفسياً لتَبدَّد لديهم أحاسيسُ الشعور بالذنب. وبالطبع فإنَّ استراتيجيةَ القنابل البشرية تبقى من أهم العناصر التي تُسهِمُ في تركيع إسرائيل، وتُبقي عند الفلسطينيين أملاً بإمكانية إزالة هذا الكيان من الوجود...

والآن إلى المفارقة العجيبة، فكيف يُمكن أن نفهمَ أن يهود إسرائيلَ المنحدرين من ضحايا التمييز العنصريِّ في أوروبا ومن الغيتوات، يقومون الآن بوضع الفلسطينيين في غيتوات، ثم يعملون على إذلالهم واضطهادهم وقتلهم دون رحمة..؟ ألا يجب أن نَفهمَ بعد كلِّ ذلك السببَ وراءَ هذه المَوجة العجيبة، فكيف يُمكن أن نَفهمَ بعد كلِّ ذلك السببَ وراء هذه الموجة المعادية لليهودية والصادرة عن «السرطان الإسرائيليِّ»، والتي تنتشر في جميع أنحاء العالَمين العربيِّ والإسلاميِّ..؟ وهل يمكننا أن نَغُضَّ الطرفَ عن الأقاويل التي تدور هنا وهناك في جميع أنحاء العالم عن الدور اليهودي ـ الأمريكيِّ وراء تدمير بُرجَي مركز التجارة العالميِّ لتبرير القمع والاضطهاد ضدَّ العالَم الإسلاميِّ.. ولا بُدَّ لنا أن نطرح هذا التساؤلَ: إذا كان ارتكابُ الجرائم الفظيعة بحق شعبٍ أعزلَ، لا يُثيرُ عند العالم إلاَّ توبيخات

خجولة ضدَّ الإسرائيليين، أفلا يجبُ على الأمم المتحدة أن تتخذ موقفاً جريئاً ضدَّهم كي يتوقف «آرييل شارون» عن ممارسة هذه السياسة الوَقحة، خاصةً بعد أحداث الحادي عشر من أيلول (سبتمبر)، التي لم تَزِدهُ إلاَّ غطرسةً وجبروتاً وظلماً.. !؟

إنَّ الحرب ضدَّ ما تدَّعيه أمريكا «بالإرهاب» جعلت «شارون» يُدمجُ المقاومةَ الفلسطينيةَ ضمن هذا الإرهاب. وغدا الأمرُ بين الإسرائيليين والفلسطينيين بمثابة حرب دينية ثقافية، ونجحت إسرائيلُ في إظهار هذه الحرب على أنَّها حربٌ ضدَّ البربرية المتطرِّفة، وأيّاً كانَ الحالُ، فإذا كان العرض السعوديُّ يسعى إلى اعتراف شامل بإسرائيل، مقابلَ العودة إلى ما وراء حدود عام 1967م طبقاً لقرارات الأمم المتحدة، مُنهياً بذلك حرباً بين دينين عالميين، فإنَّه على الولايات المتحدة أَن تتحمَّل مسؤوليتها كاملةً إزاءَ دورها في مسألة الشرق الأوسط، فهي تمتلك جميعَ وسائل الضغط على إسرائيل (مساعدات، وأسلحة، ومنَح) كي تُوقِّعَ معاهدة صُلح مع العرب، وإلاَّ فإن السرطان الإسرائيليَّ، ـ الصراع الفلسطيني ـ الإسرائيلي ـ يوشك أن يجتاحَ العالَم بأسره.

التعليق:

لقد صدق «فيكتور هيغو» عندما قال: ((إن مظلوم الأمس ظالم اليوم))، ويقصد بقوله هذا: أنَّ اليهود الذين ظُلموا في حياتهم في دول أوربا مُهانين مُحتَقَرين، ذاقوا مرارةَ الظلم والقهر والاضطهاد على يدي ألمانيا النازية خلال الحرب العالمية الثانية، وقد نسي المؤلِّفون لهذه الكلمة أنَّ اليهود ما ذاقوا الظلمَ والقتلَ إلاَّ لاستحقاقهم ذلك حقاً وشرعاً؛ لأنَّ «هتلر» عندما أمر باعتقالهم ومطاردتهم تأكَّد من أنهم كانوا يعملون طابوراً خامساً للحلفاء، عندما عادوا من أمريكا ـ التي رفضت استقبالَهم ـ فعادوا يعملون باتفاقات سرية لما بعد الحرب، على أن يُقدِّموا المعلومات اللازمةَ للحلفاء عن الجيوش الألمانية وتَحرُّكاتها، فكان حقاً أنْ يَعتقلَهم ويُعاقبَهم. أما موضوعَ «المَحرَق» فهو موضوع خارجٌ عن نطاق بحثنا هذا، والشكُّ في صحته كبير.

أما موضوع وأد إسرائيل في المهد عند قيامهما عام 1947 ـ 1948م. فهو كلام مشكوك في صحته، لا بل أقول يقيناً: إنَّه رأيٌ خاطئٌ من أوله إلى أخره؛ لأنَّ الوأد يقع على المولود الضعيف الذي لا حول له ولا قوة، أمَّا موضوع إسرائيل عندما وُلِدَت بتقسيم 1947م، لم تُولَد ضعيفةً؛

لأنَّ الولايات المتحدةَ اعترفت بها بعد قرار التقسيم بأحد عشرة دقيقة - على قول رئيس الولايات المتحدة - بسبب الضغوط التي مُورست عليه كما يدّعي، إلاَّ أنَّ «أبا إيبان» وزير خارجية إسرائيل السابق قال: بل بعد خمسة دقائق فقط من قرار التقسيم اعترفت أمريكا بنا. وفي الحالتين، هذا دليلٌ واضحٌ لا يحتاج إلى نقاش: أنَّ مَن ولد في حضن أمريكا، تَلمَسُه يدُ رعاية بريطانيا، وروسيا، وفرنسا آنذاك، وهي الدول العظمى الوحيدةُ، ليس ضعيفاً ألبتةَ، بل وُلد الطفلُ وأظافرُهُ أطولُ من أظافر الدول العربية الخمس في هيئة الأمم المتحدة آنذاك. والدليلُ على ذلك: أنها هَزمت الدولَ العربيةَ في حرب 1948م - بغضِّ النظر عن أسلوب القتال الذي كانت تُسيِّرُه أمريكا وبريطانيا لصالح إسرائيلَ - الوليدِ الجديدِ -. فهل مَن يُولد هكذا يكون ضعيفاً. . . !؟؟

وكانت كلمةً حكيمةً قيلت في هذا البحث من قبل الكُتَّاب الثلاثة عندما ذكروا: بأنَّ «شارون» يجهلُ بحقٍّ أنَّ نصرَ اليوم يليه انتحارُ الغد. . وهَذا معناه أنَّ المعتدي أولاً، لا بُدَّ وأن يتحوَّلَ اعتداؤُه أخراً إلى هزيمة، ولكنهم يعودون للخطأ مرةً أخرى عندما يقولون: يلاحظ أنَّ (حماس) تُمارسُ السياسةَ التي يُمارسُها «شارون». . هل هذا الكلام معقولٌ: فهل يتساوى الظالمُ مع المظلوم. . ؟ كيف تتساوى (حماس): التي تُمثِّلُ المقاومةَ ضدَّ المحتلِّ الغاصب لأرضها، المُصادر لممتلكاتها، المُدمِّر لبيوتها، مع إسرائيل التي تُسيِّرُ طائراتها ودباباتها ومدافعَها لتدمير كلِّ ما يمكن تدميره. . ؟ كيف يتساوى مَن يقاتل بالطائرات مع مَن يقاتل بالحجارة. . ؟ بعد الذبح والقتل والتدمير ماذا يصنعُ الشعبُ الفلسطينيُّ أو حركة حماس لتدافعَ عن نفسها. . ؟ ماذا يُمكنها أن تفعل، سوى التضحية ببعض أبنائها لتُبقيَ أملاً لدى الشعب بالحياة والأرض. فلولا العمليات الاستشهادية لمادت إسرائيل أكثرَ طولاً وعرضاً في البلاد، ولطَردت الفلسطينيين جميعاً بدلاً من الطرد والنفي الفرديِّ، وكيف تُقاسُ مذبحةُ جنين، وتدميرُ مُخيَّمها وَمَسحُهُ من الوجود بعملية استشهاديَّة يذهب ضحيَّتها المُنفِّذُ حكماً. . !؟، ذلك ليُشعرَ إسرائيل أنَّها لن تَحتلَّ بلدَهُ وأرضَهُ ووطنَهُ بسهولة. . إنَّه دفاع عن الوطن والأرض والشرف والكرامة المُهانة، إنَّه دفاع مشروعٌ تَعترفُ به القوانين الوضعية والأديان السماوية. . فهل بعد كل هذا. . يتساوى الظالم المحتل مع المظلوم الجائع المشرد. . !!؟؟

إن اليهود عندما احتلّوا الضفة الغربية وجنوب غزة، وصادروا المدنَ والأرضَ، كانوا يَفرضون عزلةً وموتاً وإهانةً لا للسلطة الفلسطينية فحسب، بل للشعب بكامله، الذي يعلم أن

اليهود يريدون حصارَهم في كانتونات مقطعة الأوصال حتى لا تقوم لهم قائمة في المستقبل. فهل من المعقول أن يعرفوا ذلك ثمَّ لا يقومون بالدِّفاع عن أنفسهم.. ثم كيف يدافعون عن أنفسهم إذا لم يُنزلوا بخصمهم - إسرائيلَ - خسائرَ.. ؟ فلا البندقيةُ تنفع، ولا الحجرُ يدفع. إذن لم يجدوا أمامَهم سوى تفجيرِ أنفسهم دفاعاً ووفاءً لبلدهم وأولادهم ومستقبلِ أهلهم، ولا طريقَ أمامهم سوى ذلك.. ؟ فهل يُلامون ويَتساوَوا مع إسرائيل المجرِمة.

وكان من أدقِّ المعاني في هذه المقالة هو: التوازنُ بين الرئيسين «عرفات» و«شارون». والحق: أنَّ كلمة (توازن مُزيف) تُعطي مَدلولاً كاملاً للمعنى: كيف ستقوم مُباحثاتٌ متوازنةٌ - وليست مزيفةً - بين رئيس محاصَر لا يَملكُ قُوتَ يومه المعيشية ولا يَملكُ أجهزةً يُوصلُ بها تعاليمَهُ إلى أنصاره، ولا يستطيع مغادرَةَ البيَت المقيم فيه.. !؟ وبين رئيسَ آخر - «شارون» - الذي يَملكُ قوةَ تحدِّي الأمم المتحدة، ومجلس الأمن، ويَضربُ بقراراتهم عُرضَ الحائط إذا لم تأت كما يشاء هو، وكما يرغب، حتى يصل به الأمر إلى توبيخِ الولايات المتحدة - وإن كان التوبيخُ لَيِّناً ولكنه توبيخٌ - بينما تضغطُ أمريكا على الرئيس الفلسطينيِّ بأنْ يُوقفَ العمليات، وينفِّذُ التعليمات، ولا يُعارضُ القرارات، سواء ما كان صادراً عن هيئة الأمم، أو مجلس الأمن، أو صادراً عن «شارون» نفسه.. ؟ فهل هذا هو العدل يا أمريكا.. حقاً وصدقاً إنَّ العدو اللَّدودَ للأمة العربية والإسلامية هي الولاياتُ المتحدةُ وقبل إسرائيل أيضاً.. ومع كلِّ هذا تلومُ أمريكا «عرفات» وتُخاصِمُه، وتُقدِّمُ ثَديَها إلى المجرم «شارون».

حتى وسائلُ الإعلام الغربية - التي تَدَّعي تعاطُفَها مع الفلسطينيين - هي كاذبةٌ؛ لأنَّها لا تُفرِّق بين الذابح والمذبوح. فهل يتساوى المحتلُّ الذي يقتل ويَسرقُ وينهب ويُذلُّ ويُهين، مع مَن يدافع عن أرضه وأهله وشعبه، وهل يُلام الشهيد الذي يُضحِّي بنفسه - كفرد - مَن أجَل أن يحيا شعبُهُ وأهلُه، وعلى أَمَل أن تُحرر أرضه.. ؟

لقد بكى اليهود على الظلم الذي لاقوه من النازيين، ونادَوا بأعلى صوتهم: بأن مردَّ هذا هو التميزُ العنصريُّ ضدَّهم.. ؟ وتجاوبت معهم الدول الأوربية فساعدتهم على العودة إلى فلسطين لرفع الظلم عنهم. فهل أدرك الإسرائيليون أنهم بأعمال شارونهم إنَّما يمارسون العنصريةَ والتميزَ العنصريَّ على الفلسطينيين.. !!؟ فهل ينتقم «شارون» لنفسه وشعبه من الفلسطينيين، بدلاً من أن ينتقم من النازيين.. !!؟

ولكني أعود للقول: إنَّها السياساتُ الشارونيةُ القصيرةُ النظر ضدَّ الفلسطينيين، الذين سيخرجُ منهم، أو من أهلهم العرب ـ بعيدي الدار ـ مَن سينتقم لهم من الظلم الشاروني.

إن الأجيال العربية القادمةَ ستلدُ، وقد رَضَعَتْ الحقدَ والكُرهَ عل جرائم أمريكا و إسرائيل، ولن تنسى ظلمها وثأرَها مهما طال الزمن.

أما الولايات المتحدة الأمريكية ـ العدوُّ اللدود للعروبة والإسلام ـ وتدعمها كثير من الدول الغربية حتى اليوم، فإنها عندما تعلم أن ظلم «شارون» تجاوز الحدودَ بكثير فإنها بدلاً من أن تأخذ على يده، وتُوبِّخَه بشدة على تجاوزاته، وتنذرَهُ بإيقاف الظلم. فإنها ستكتفي مع الدول الغربية بعتاب خفيف لـ «شارون»، وتوبيخ شديد وتهديد قويٍّ للرئيس الفلسطينيِّ، ولحركات المقاومة، علماً بأن الموضوع موضوعُ ظلم فاضحٍ من «شارون» على الفلسطينيين.

ويبقى لدينا الموضوع الأخير في هذا التعليق، وهو: موضوع العرض السعوديِّ؛ الذي يسعى إلى إعتراف شامل بإسرائيل، مقابلَ العودة إلى ما وراء حدود عام 1967م طبقاً لقرارات الأمم المتحدة، وإنهاءً لحالة الحرب.

لقد كان جواب إسرائيل الشارونية على هذا العرض جواباً واضحاً صريحاً ـ باركته الولايات المتحدةُ الحكم... ؛ فقد بدأ ردُّه بعدَ أقلَّ من أسبوع: احتلالُ الضفة الغربية، وارتكابُ عدة مجازرَ، أهمّها: مجزرة جنين الوحشيةُ، وتدميرُ المخيم تدميراً كاملاً على أهله، ومحاصرةُ «عرفات» حصاراً شديداً قطعَ عنه الماءَ والكهرباءَ والطعامَ، وألغى مباحثات مدريدَ، وقضى على اتفاقيات أوسلو، ثمَّ احتلالُ الأماكن المقدَّسة عسكرياً: القدس، والخَليل، وبيت لحم، وحاصرَ كنيسةَ المَهد، وضربَ مسجدَ «عمر بن الخطاب» فيها، وقتل الناسَ على الشبهة... أليس هذا هو السرطانُ الشاروني؟..

الإرهاب الفكريُّ أم الإرهاب السياسيُّ والقتل:

والردَّ على بعض المثقفين الفلسطينيين الذين يُدينون العمليات الاستشهاديةَ، وقالوا: «إنَّ هذه العمليات لا تُحقِّق مصالحَ الشعب الفلسطينيِّ؛ باعتبارها تزيدُ من حجم الكراهية بين الشعبين المتجاورَين، وتزيدُ من التناحر الوجوديِّ بينهما، ولا تُحقِّقُ تقدماً نحو إنجاز المشروع الوطني».

وقد بلغ عدد الموقّعين على البيان: خمسةً وخمسين مُثقّفاً فلسطينياً، وهناك مَن قال: إنَّ عدد الموقعين بلغ ألفاً، وبغضِّ النظر عن عدد الموقّعين ولو بلغوا مائة ألف، سواء كانوا مثقفين أو أُمِّيِّين، فإن: 6 ـ 7 ملايين فلسطيني ـ العدد التقديري للفلسطينيين المُتبقِّين ـ لا يُؤيِّدونَ الموقّعين، بل يؤيدون العمليات الاستشهاديةَ، ويقفون معها بقلوبهم وعقولهم وأفكارهم، ومن خلفهم يوجد ثلاثمائة مليون عربيٍّ، ومليارٌ ونصف مسلم، وخمسُ مليارات من شعوب العالم، فأين تكون أرقامُ القلّة القليلة النادرة من الموقعين.. !!؟ إلا إذا كان رأيُ الموقّع أو المصوِّت المثقّف الواحدُ يُعادلُ في موازين الانتخابات الديمقراطية سبعةَ آلاف صوت من الناس العاديين..؟، والآن لنناقش ما جاء في بيان المثقّفين بهدوء ودون انفعالٍ، وبحكمة الموقّعين عليه:

1 ـ ينطلق البيان من فكرة خاطئة من الأساس تنصُّ على وجود شعبين متجاورَين.. والحقيقة هي: أنَّه أساساً لا يوجد شعبٌ يهوديٌّ داخل فلسطين المحتلة أو خارجَها، هذا التجمعُ اليهودي أو غير اليهوديِّ، العنصريُّ والصهيونيّ ليس شعباً على الإطلاق. فجميع المُنظِّرين الماركسين والقوميين والإسلاميين، وكذلك قلةٌ من المُنظِّرين اليهود الكبار، ينفون أساساً وجودَ شعب اسمُهُ: الشعب اليهوديُّ، أو الإسرائيليُّ. بل يؤكد الجميعَ استناداً إلى الأرقام والحقائق، أن هذا التجمع هو خليطٌ غيرُ متجانسٍ من اليهود وغير اليهود، واليهود بينهم ينتمون إلى أصولٍ عرْقيةٍ وقوميةٍ ولغويةٍ وحضاريةٍ غيرِ متجانسةٍ، لا يُمكنها أن تُشكِّلَ شعباً على الإطلاق.

حتى لو افترضنا هذا التجمع هو شعبٌ فعلاً، فإنه ليس شعباً أصيلاً في المنطقة، بل هو شعب دخيلٌ غازٍ، ولكن ليس كالشعب السوريِّ أو المصريِّ العربيَّين ـ اللَّذين تَمتدُّ جذورهما إلى ما قبل خمسة آلاف سنة، ومستمرة في الوجود على هذه الأرض من دون انقطاع ـ، ومن الظلم الفادحِ أن نضع هذا الشعب الغازيَ الدخيلَ في سلةٍ واحدة مع الشعب العربيِّ الفلسطينيِّ: الذي أقام هذا الشعبُ الدخيلُ كيانَه على أساس نفيه وتشريده من وطنه، أو أن نُساويَه مع الشعبين السوريِّ والعراقيِّ كما يريد الموقّعون.

2 ـ ينطلق البيانُ من رفض فكرة التناحر الوجوديِّ بين الشعبين، مع أنَّ جميع التنظيرات والتحليلات، بما فيها تنظيرُ عدد من هؤلاء المثقفين، تؤكد أنَّ التناحر بين الغزاة الصهاينة وبين أصحابَ الحق الشرعيين هو تناحرٌ وجوديٌّ، وأنَّ الصراع بينهما هو صراعٌ على الوجود وليس على الدولة أو الحدود.

3 ـ ينطلق البيان من فكرة وجود مُحبِّين للسَّلام في الطرف الآخر ـ وهم جيدون ـ حتى لو افترضنا مثلَ هؤلاء داخلَ هذا المجتمع ـ الإسرائيليِّ ـ فما هو حجمهم بالنسبة: إلى العدد الكليِّ لعدد الصهاينة الرافضين للسلام، فهل تزيد نسبتُهُم على 1٪ أو 3٪ في أحسن الأحوال من أجل تحقيق السلام المنشود، الذي يحقق للشعب العربي الفلسطيني مصالحَهُ في الحرية والسيادة والاستقلال كبقية شعوب الأرض. . !؟ وهل يُراهنُ هؤلاء المثقفون على زيادة هذه النسبة إلى أكثر من 51٪ حتى يقفوا منذ الآن ضدَّ العملياتِ الاستشهاديةِ الكفاحيةِ لشعبهم المناضل البطلِ.

4 ـ هل حقاً أنَّ هذه العملياتِ لا تحقِّقُ مصالحَ الشعب العربيِّ الفلسطينيِّ؟!

إذا كانت هذه العمليات لا تحقِّقُ هذه المصالح المشروعةَ نرجو أن ترشدونا لعمليات من نوع مختلف، أو طريقٍ آخرَ غير طريق النضال والكفاح والاستشهاد؛ لتحقيق هذهِ المصالح، ولزيادة نسبة الداعين إلى السلام في الطرف الآخر. . لقد أوقفنا الكفاح المُسلّحَ مدةً تزيد على ربع قرن، وفاوضنا الصهاينةَ على مدى عشر سنين مع حمائم هذا التجمع. . . دون أن نحصلَ على نتيجة مُرضية تُحقِّق أدنى طموحات الشعب العربيِّ الفلسطيني، فهل ستحقق المفاوضاتُ بعد توقُّفَ العَمليات مع صقور هذا التجمعَ الشارونيِّ؛ الذين يُعلنون صراحةً وعلى الملأ، أنَّهم لن يَعطوا للفلسطينيين أكثرَ من دويلة ذاتية على مساحة 40٪ فقط من الضفة وقطاع غزة، دويلة مجزَّأة ـ كانتونات ـ ومُجرّدة من السلاحَ، تابعة في كلِّ مُقوِّمات وجودها لهذا الكيان العنصريِّ والعَدوانيِّ، وأنهم لن يَنسحبوا من القدسَ الشرقية، ولن يسمحوا بالعودة للاجئ فلسطيني واحد، فهل عن طريق المفاوضات مع هؤلاء يمكن أن تحقق أدنى مطلب من مَطالب الشعب الفلسطيني المشروعة. . !!؟

5 ـ هل حقاً أن هذه العمليات لا تُحقِّقُ تقدُّماً نحو إنجاز المشروع الوطني الفلسطيني. . . ؟

ولنفترض جدلاً: أنها لم تُحقِّق حتى الآن هذا التقدُّمَ، فهل يعني هذا أن نُسلِّم سَلَفاً بأنَّها لن تُحقِّق تقدُّماً نحوه، فيما لو استمرت أو تصاعدت.. !؟

ما الذي يُحقِّق تقدماً نحو المشروع الوطني.. !؟ هل الركونُ على الوعود الأمريكية؛ بإقامة دويلة فلسطينية مؤقَّتة بعد ثلاث سنوات، قابلة للتمدُّد أو التقلُّص حسب مزاج «شارون» وتَجمُّعه الصهيونيِّ.. ؟ لماذا نركضُ وراءَ السراب، ونُؤمِّلُ الجماهير بإمكانية تحقيق المشروع الوطني الفلسطينيِّ إذا نبذنا العمليات الاستشهاديةَ، بينما الواقع يؤكد أنَّ هذه العمليات واستمرارَها وتصاعُدَها هو السبيلُ الوحيدُ لتحقيق المشروع الوطني الفلسطينيِّ.. وأنَّ نَبذَها واستنكارَها وإدانتَها لا تزيد الصهاينةَ إلاَّ تَعنُّتاً وشراسةً وتَصلُّباً، وتَمسُّكَهم بمشروعهم؛ الذين يُزاودون على جهالة العالَم الآخر بمعرفته.. !؟ فهَلاَّ صَحَونا من النوم.. ؟

هناك مثلٌ عربي يقول في لعبة عَضِّ الأصابع: (إن الجبان هو مَن يَصرُخُ أولاً). فإذا كان صحيحاً أنَّ الصهاينةَ لن يستسلموا بسهولة، فهذا لا يعني أنهم لن يَصرُخوا وأنهم لا يصرخون الآن وبشدَّة.. لقد صرخوا في الماضي كثيراً، وهم يصرخون الآن بشدَّة حتى ملأت صَرْخاتُهُم مسامعَ العالَم كلِّه من وَقْعِ العمليات الاستشهادية؛ التي يعتبرونها هم دليلاً على نيَّة الفلسطينيين على نسف وجودهم من الجذور، إنهم يصرخونَ اليوم، والعيب ليس بمن لا يسمع صُراخَهم، بل العيبُ في أذنيه، أو في عقلِه اللَّذَين يحتاجان إلى غسيل أو معالجة..

في جميع الحروب والمعارك التي خاضها العرب والفلسطينيون مع الصهاينة منذ عام 1948م وحتى اليوم، كان العرب يَصلون إلى النقطة التي لا مَفَرّ بعدَها من هزيمة الصهاينة، وكلما كانت الأمورُ تصل إلى هذه النقطة كانت تدخل على الخطِّ قوة دوليةٌ تدعو إلى وقف إطلاق النار، أو العودةُ إلى طاولة المفاوضات، فيتوقف العربُ عن متابعة هجومهم، في حين يستعيد الصهاينةُ قوَّتَهم، فيعودون أقوى مما كانوا عليه، أو يعودون إلى المناورة والخداع، أو الضغط - عن طريق الدول الكبرى - فتفوتُ فرصةُ النصر. وعندما نبدأ الكرةَ من جديد نَجدُ أنفسَنا أضعفَ، ويكونون هم الأقوى، وندخل مرحلةَ التعقُّل والتهدئة من أجل التفاوض وهكذا دَوالَيك، من أجل العودة إلى نقطة الصفر، ويكونوا هم قد قَضَموا ما قَضَموا، وتَسلَّحوا من جديد، ونعود إلى الطرف الأضعف.

إنَّ القوة الداعيةَ إلى الحكمة والتعقُّل لا تأتي اليومَ من الخارج؛ لأنَّ هذا الخارج فَقَدَ مصداقيَّته لدى الشعب العربيِّ والفلسطينيِّ، بل تأتي من الداخل، والمصيبةُ أنَّ هذه الدعوةَ لا تدعو إلى التعقُّلِ والحكمة، بل تدعو إلى نبذ العملياتِ التي ستُطيحُ برؤوس الصهاينة وعملائهم..

إننا نوجه لهؤلاء الدُّعاة النصيحةَ التالية: إذا كان الإرهاب الأمريكيُّ ـ الصهيونيُّ، ويأبشع صُوره وأشكاله قد عَجزَ عن أن يُخضعَ الفلسطينيين، أو يمنعَهُم من القيام بالعمليات الاستشهادية، فهل سيمنعهم الإرهابُ الفكريُّ؛ الذي سيمارسُهُ إخوانُهم عليهم من الاستمرار في نضالهم وجهادهم، الذي جاءَ حقاً مفروضاً على القادرين منهم.

دُعَاة نَبذِ العملياتِ الاستشهاديةِ ..!!؟؟:

لن نستعرض أسماءَهم جميعاً، بل نكتفي بذكر أسماء بعض رموزهم، مثل: اسم «سرّي نسيبة» مسؤولُ ملفِّ القدس؛ الذي قال: إنَّ تَمسُّكَ الفلسطينيين بحق العودة هو العَقَبةُ الرئيسيةُ أمام السلام.

ونُذكِّرُ أيضاً مَن لا يَعرفون: أنَّ المدعوَّ «بسّام أبو شريف» وربَّما: أبو زئيف، باعتباره صديقاً شخصياً لـ«عموري شارون» ويَسهرُ معه يومياً في تل أبيب، وكان أوّلَ مَن أدانَ العملياتَ الاستشهاديةَ ـ كرمال عينين صديقه «عموري شارون»، وكرمال عين تكرَم مَرج عيون ـ بمقالَ نَشرته له: (يديعوت أحرونوت) قبل عام تقريباً، وأنه قال في ذلك المقالَ، وفي مقابلة مع محطةَ (صوت إسرائيل) و(إذاعة لندن): إنَّ هذه العمليات الإرهابيةَ تُعتبرُ إجراماً وعُدواناً على الأبرياء من الشعب الإسرائيليِّ، لا يجوز السكوتُ عليها». في الوقت الذي كان فيه أغلبُ الموقِّعين على البيان ـ خصوصاً النجوميين منهم ـ يعتبرون هذه العمليات حقاً مشروعاً للدفاع عن النفس، ويُعلنون عن ذلك في جميع أحاديثهم أو لقاءاتهم مع المحطاتَ الفضائية.. ومن المؤسف له: أن يندفع بعضُ هؤلاء الموقِّعين على البيان بدعوة من الإتحاد الأوربيِّ لإدانة العمليات الاستشهادية بعد أن فشل هذا الإتحادُ، وعلى الرغم من الضَغوط الأمريكية على شيوخ الإسلام لإصدار فتوى تُحرِّمها، فإنَّ أغلب هؤلاء الشيوخ لم يَستنكروها، بل بَرَّروها وأبدَوا إعجابَهم بها، وبعد أن فشلت الضغوطُ الخارجيةُ على شيوخ الإسلام، تَبرَّع المتحرِّكون والمتساقطون للقيام بهذه

المهمة، التي لن يَجنوا من ورائها غيرَ الخيبة والفشل، وانكشاف حقيقتهم أمام شعبهم؛ الذي لن يَرحمَهُم، وأمام أعدائهم؛ الذين سوف يَنبُذونَهم كما نبذوا ـ «أنطوان لحد» و جَيشَه، عندما تعاونوا معهم ضدَّ وطنهم، فلما قَضَوا وَطَرَهم منهم لفظوهم ونبذوهم.

وللأسف هناك من بعض المُنظِّرين والكُتَّاب والباحثين مَن يَربطون بين العمليات الاستشهادية ـ حيث لم يبقَ للفلسطينيين طريقٌ غيرها ـ وبين الإسلام وبينَ الإرهاب. إذا كان أوائلُ الاستشهاديين الفلسطينيين من القوى الإسلامية، فإنَّ أوائل الاستشهاديين في لبنان كانوا فدائيين من منظمات ليبرالية وماركسية، ولم يكونوا إسلاميين.

والاستشهاديُّون اليوم لا يقومون بذلك بدافع الدين، أو بدفعٍ من القوى الإسلامية فقط، بل استناداً لعشقهم الحريةَ والاستقلالَ، والدفاعِ عن أُسَرهم وأرضهم ومستقبل شعبهم وكرامته، وإنْ كنا لا نُنكرَ أنَّ الواقع الدينيَّ للاستشهاد اليومَ باتَ أكثرَ الدوافع فاعليةً للنضال والتضحيَة والفداء، بعد أن تراجعت أو خَبَتْ جَذْوةُ النضال الوطنيِّ أو القوميِّ أو الأُمَميِّ في ظلِّ العَولَمة ـ الأمريكية ـ وهذا ليس عيباً.

لماذا كان هؤلاء يُعجبون بتضحيات الانتحاريين الإيرلنديين في مواجهة الإنجليز، أو بتضحيات الانتحاريين اليابانيين ضد الأمريكيين، أو بتضحيات الحمر في روسيا إبَّان الثورة، أو مواجهة النازيين، أو بتضحيات الفرنسيين والبلجيكيين وحتى الأمريكيين في مواجهة القوات النازيّة والفاشيّة.. !؟ لماذا كُنّا ـ ولا نزال ـ نَعجَب بحرق البُوذيين لأنفسهم في فيتنام عندما كان هؤلاء يَحرقُون أنفسَهُم لتذكية روح النضال والمقاومة ضد الأمريكيين، بينما لا نَعجَبُ اليومَ بالاستشهاديين الفلسطينيين المسلمين..؟، ولماذا لَا نرفع رَأسَنا بهم عالياً..؟ هل: لأنَّ الأمريكيين ربطوا بين الإرهاب والاستشهاد والإسلام، أم لأنَّ العمليات الاستشهاديةَ باتت تَقُضُّ مضاجعَ الصهاينة الإسرائيليين والأمريكيين المتصهينين أكثرَ من الإسرائيليين، والأوربيين وأعوانهم..؟

أُكذوبةُ الخطِّ الأخضر:

ما هو الخط الأخضرُ..؟ هو الذي ليس مسموحاً لنا أن نقوم داخلَهُ بأيِّ عملية..؟

من كثرة ما تَردَّد اسمُ: الخط الأخضر، على ألسنة المنظّرين أو الفلاسفة العرب والفلسطينيين والغربيين، تَوهَّم بعضُ الناس أنَّ هذا الخط هو خَطٌ مقدّس لا يجوز المَساسُ به، ولمعرفة الخط الأخضر ـ لكثرة ما تردد اسمُهُ ـ نُوردُ عنه المعلومات الآتيةَ:

1 ـ أولاً: نُذكّرُ هؤلاء المثقفين الذين يجهلون التاريخَ والجغرافيا والقانونَ الدوليَّ، أنَّ الخط الأخضرَ هو: خطٌّ رَسمَتهُ أحذيةُ ودَبَّاباتُ الغزاة الصهاينة عام 1948م، خَطٌّ رَسمتهُ قواتُ الطوارئ الدولية، خَطٌّ رَسَمه أشخاصٌ من لحم و دم، اسمه الحقيقيُّ: خط الهُدنة بين الدول العربية وإسرائيل، إنه خطٌّ مؤقّتٌ وليس حُدوداً نهائيةً، وسوف يَتمُّ رسمه بصورة نهائية بعد أن يتوصَّلَ العرب والإسرائيليون إلى التسوية النهائية ـ التي تُحاربُها إسرائيلُ للحصول على المزيد من الأرض بالقوة والقضم ـ.

2 ـ إنَّ أبسط طالب في الإعدادية، يَعرفُ أنَّ خط الهُدنة هذا، أُعطي من أراضي الدولة الفلسطينية المُقرَّرة حسبَ قرار التقسيم 23٪، زيادةً عن المساحة المُقرَّرة للدولة العربية (55٪ من مساحة فلسطين العامة). ولو سلَّمنا بشرعية وصحَّة قرار التقسيم، فإن أراضي: الجليل، وحيفا، وعكا، والحولة، والنقب، هي: أراض اقتُطعتَ عَنوةً من أراضي الدولة الفلسطينية لعام 1948م، وإنَّ احتلالها لا يختلف عن احتلال الأراضي التي احتلت عام 1967م. من هذه الزاوية فإنَّ من حق الفلسطينيين أن يُناضلوا داخل هذه الأراضي ضدَّ الاحتلال الصهيونيِّ لها، كما هو حقُّهم أنْ يُناضلوا داخلَ أراضي الضفة الغربية، وقطاع غزة المُحتلَّين عَنوةً مثلَ غيرهما، وحكم القتال داخلَ الخط الأخضر هو كحكم القتال داخلَ أراضي الضفة الغربية والقطاع شَرَعاً وقانوناً.

3 ـ ولو سلَّمنا بشرعية وصحَّة قرار التقسيم ـ وهو ظلمٌ وغيرُ مشروع ـ فإنَّه كان يتوجَّب أن يبقى جميعُ الفلسطينيين في أراضيهم التي وُلدوا فيها، وعاشوا فيها آلافَ السنين، وطالما أن هؤلاء الفلسطينيين قد طُردوا منها، وطالما أن القرار: 194 قد جاء ليؤكد حقَّ عودة اللاجئين إليها، وطالما أنَّ الصهاينة يرفضون عودةَ هؤلاء اللاجئين إلى أراضيهم التي طردوا منها عَنوةً، فإنَّ من حقِّ هؤلاء اللاجئين ـ حسبَ قرارات الأمم المتحدة ـ استخدامَ جميع الوسائل المُتاحة من أجل العودة واسترجاعِ أراضيهم التي سُلبت منهم عَنوةً. معنى ذلك أنَّ من حقِّ الفلسطينيين أن يقاتلوا الصهاينةَ في جميع المناطق التي كانوا يوجدون فيها، والتي يحتلّها الغزاةُ الصهاينةُ أينما وُجدوا حتى يعودوا إليها.

4- إذا كان الصهاينةُ - وحسب الاتفاقيات التي وَقّعوا عليها مع السلطة الفلسطينية - يضربون ويَبطشون ويحتلُّون أراضيَ السلطة، إذاً من حق الفلسطينيين أن يضربوا تلَّ أبيب، لماذا تكون تلُّ أبيبَ محظورةً على الفلسطينيين للقيام بأيِّ عمليات داخلَها، بينما تكون غزّةُ وقَلقيليةُ ونابلس وجنين وطُوْل كَرْم مدنٌ فلسطينيةٌ مُباحة للقوات الصهيونية، وأن تَفتكَ بها وتُدمِّرَها وتسحقَ شَعبَها والعالَمُ صامتٌ يُشاهد.

أكذوبة المدنيين الإسرائيليين وعسكرةُ الانتفاضة:

من المعروف أنَّ جميع الإسرائيليين نساءً ورجالاً من عمر: 18 - 60 سنة هم إمَّا جنودٌ عاملون، أو جنود احتياطٌ، معنى ذلك أن: 60٪ من الإسرائيليين الموجودين داخل فلسطين المحتلَّة هم عسكريون وليسو مدنيين.

ولو أخذنا الـ: 40٪ المتبقِّين من الإسرائيليين دون سنِّ: 18، فهم حُكماً إمَّا: كهول أدّوا الخدمةَ العسكريةَ، وقاموا بعمليات عسكرية، وإمَّا: شبابٌ مُدرَّبون على القتال، وإمَّا: أطفال سيكونون - حُكماً - عسكريين ومقاتلين أشدَّاءَ في المستقبل؛ لأنهم يُرضِعونَهم حُبَّ قتال العرب.

إذاً فهذا التجمع الصهيونيُّ هو بالأساس تَجمُّعٌ عسكريٌّ - من أوله إلى آخره - ليس فيه إلا عسكريون، أو مدنيون مُقاتلون، أو مشروع مقاتلين، أو مقاتلون متقاعدون.

إنَّ كل شيء في إسرائيل قلباً وقالباً مُكرَّسٌ للقتال والجيش والحرب، ولذلك لا تستغرب يا قارئي العزيز عندما يُقالُ لك، أو تقرأ في الكتب: إنَّ احتياطيَّ إسرائيل بكامله يكون خلال 48 ساعةً تحت السلاح، وهذا رقمٌ مثالي بعالم الجيش.

أما بالنسبة للسلطة الفلسطينية فلا تَمتلكُ جيشاً، بل قوّات أمن وشرطة، وهي بالتعريف الدوليِّ: قواتٌ مدنيةٌ وليست قوات عسكَريةً، ومن المعروف: أن مَن يقاتلون ويُقتَلون من الفلسطينيين أغلبُهُم من المدنيين، ومنَ الأطفال: الذين لا تزيدُ أعمارهم على الـ: 18 عاماً. فمَن يُقتل عندنا هم جميعُهُم مدنيون فلسطينيون، ومن يُقتل لدى اليهود فهم عسكريون بلا استثناء.

لذلك فإنَّ أيَّ حديث عن عسكرة الانتفاضة ما هو إلاَّ قلبٌ للحقائق، الهدفُ منه إبعادُنا عن العمل بجميع الوسائل المُتاحة؛ والتي يأتي في مُقدِّمتها: العملياتُ الاستشهاديةُ، حتى يبقى الاحتلالُ قائماً جاثماً على قلوبنا، نَتضوَّر جوعاً، ونَرتَعِدُ خوفاً.. ؟

- وأخيراً: هل يجوز مقارنةُ ما يقوم به استشهاديٌّ يُفجِّرُ نفسَه بإرادته قبل أن يموت أو يُقتلَ وهو نائم في بيته؛ ليُبعدَ الأذى عن نفسه وعن أطفاله وشعبه، بما تقوم به قوات الاحتلالُ، التي تستخدمَ أحدثَ وأفتكَ الأسلحة - طائرات، ودبابات، وصواريخ.. !؟ هل هذه عسكرةٌ للانتفاضة.. ؟ ولماذا مُحظَّرٌ علينا استيرادُ واستخدامُ الأسلحة، بينما تَدكُّ إسرائيلُ بيوتَنا وأهلَنا بالصواريخ.. ؟

لقد قال أحدُ زعماء (حماس): أعطونا رُبُعَ الأسلحة التي يستخدمها الصهاينة، ونَعدُكم أننا لن نقوم بعمليات استشهادية، لماذا يَحقُّ لهم قَتلُنا إذا رميناهم بالحجارة، أو إذا تظاهرنا، أو إذا نمنا في بيوتنا، بينما لا يَحقُّ لنا أن نموتَ ونَحن واقفين.. !؟؟

لماذا لا يَحقُّ لنا أن نموتَ، لنبعدَ الموتَ والأذى عن أنفسنا، وعن أطفالنا، وشعبنا وأرضنا، ووطننا، وكرامتنا..

ونهايةً: نُذكِّر برأي ساذَج يَذكُرُه الكثيرُ من المُنظِّرين والمُفكِّرين الاستراتيجيين الفَطاحل، يستندُ إلى أنَّه في ظلِّ انعدام التوازن الاستراتيجيِّ الفكريِّ؛ فإنَّ المقاومة والقتالَ لن يكونا إلاَّ في مصلحة العدو.. ؟ فأيُّ شَعب قاتلَ وانتصرَ عندما كان التوازنُ الاستراتيجيُّ لمصلحته.. !!؟ إذا كانت العملياتُ الاستشهاديةُ قد كَسرت التوازنَ الاستراتيجيَّ العسكريَّ وحوَّلته لمصلحتنا نحن. وإذا كانت هذه العملياتُ هي أقوى من قنابلهم الذرِّية وجميع أسلحتهم، وإذا كانت هذه العملياتُ تُرعبُ الأمريكيين والصهاينةَ ومُستعبدي ومُستَغلِّي الشعوب، وتخشى أن تنتقل عَدْوَاها إلى جميع الشعوب، وإذا كانت هذه العملياتُ لا تُوجدُ أيُّ قوة في العالَم قادرةٌ على منعها أو لَجمها بالقوى العسكرية والأمنية، فهل تستطيعُ قوةُ الإرهاب الفكريِّ للموقِّعين على البيان قَمعَها.؟ إنني أشكُّ في ذلك، ويشكُّ كلُّ ذي لُبٍّ وعقلٍ مُنِحَ قدرةَ المحاكمات العقلية السليمة.

بيان سورية في مجلس الأمن بشأن غزو العراق/نيويورك:

أكدت الجمهورية العربية السوريةُ: أنَّ تصعيد لهجة التهديد العسكريِّ، والعدوان على العراق، وقرعَ طبول الحرب لا تَخدمُ الأهدافَ والمبادئَ التي تعاهدت عليها الدولُ في إطار ميثاق الأمم المتحدة، مُشدِّدَةً على أنَّ مَا نسمعُهُ اليومَ من حديث عن خطط لغزو العراق واحتلاله وفرض نظام سياسيٍّ على شعبه بالقوة، هو انتهاكٌ خطيرٌ لمبادئ ميثاق الأمم المتحدة الذي نَصَّ على عدم التدخُّل في الشؤون الداخلية للدول، وعلى حلِّ النزاعات بالوسائل السلمية، والامتناع عن التهديد باستعمال القوة ضدَّ سلامة الأراضي أو الاستقلال السياسيِّ لأية دولة.

وأوضح السفيرُ الدكتور «ميخائيل وهبة» المندوبُ الدائم للجمهورية العربية السورية لدى الأمم المتحدة في نيويورك في البيان الذي ألقاه أمام مجلس الأمن خلال مناقشاته حول المسألة العراقية: أنَّ انعكاسات مثل هذه الحرب ستكون مُدمِّرةً للعراق بشكل خاصٍّ، كما أنها ستزيد من حدّة التطرُّف، مُسبِّبةً بذلكَ عواقبَ خطيرةً في منطقتنا المضطربة أصلاً، بسبب ما جرى ويجري في الأراضي الفلسطينية المحتلَّة، في تَحدٍّ صارخ لقرارات مجلس الأمن ذات الصلة. وأكَّد البيانُ ضرورةَ توفُّر النيَّات الحسنة في التعامل مع المسألة العراقية، خاصةً أنَّ مجلسَ الأمن لم يتخذ أيَّ إجراء للتخفيف من حدّة العقوبات المفروضة على العراق، على الرغم من كلِّ الإنجازات التي تَحقَّقت في إطار تصفية أسلحة الدمار الشاملِ في العراق خلال مراحل التفتيش السابقة. وأعاد المندوبُ الدائمُ تأكيدَ ما وردَ في كلمة الجمهورية العربية السورية، التي ألقاها السيد «فاروق الشرع» نائب رئيس الوزراء، وزيرُ الخارجية، أمام الجمعية العامَّة: من أنَّ المجتمع الدوليَّ قد التزم باحترام وحدة وسيادة العراق وسلامته الإقليمية، وأنَّ أحداً لم يُشكِّك بهذا الإلتزام، وأنَّه من حقِّ الشعب العراقيِّ وحدَهُ تقريرُ مستقبلِه دون أيِّ تدخُّلٍ في شؤونه الداخلية.

وحدَّد البيانُ تأكيدَ ضرورة تطبيق قرارات مجلس الأمن دون ازدواجية في المعايير، وضرورةَ عدم استثناء «إسرائيل» بشكلٍ خاصٍّ من تنفيذ العشرات من القراراتِ التي اتخذها المجلسُ وطالَبَ فيها إسرائيل بالانسحابِ من الأراضي العربية المحتلَّة، ذلك بأنَّ جميع قرارات مجلس الأمن مُلزمةٌ بموجب موادِّ ميثاق الأمم المتحدة. كما أكَّد البيانُ: بأنه يجبُ عدمُ السماح لإسرائيل بالتهرُّبِ من تنفيذ قرارات المجلس ذات الصلة. وشدَّدت سوريةُ في ختام البيان على أنَّ

الشعبَ العراقيَّ، قد عانى طويلاً من آثار الحصار والعقوبات. . وقد أكد الكثيرون من المتحدثين في مجلس الأمن ضرورةَ إنهاء الاحتلال الإسرائيليِّ للأراضي العربية، وإلزام إسرائيل بجَعل منطقة الشرق الأوسط، منطقةً خاليةً من أسلحة الدمار الشامل، وبتنفيذ قرارات مجلس الأمن ذات الصلة، بُغيةَ تحقيق سلام عادلٍ وشاملٍ في المنطقة.

بريطانيون يجرِّمون «شارون»:

وصفت مجموعة بريطانيةٌ مثقَّفةٌ تُعرفُ باسم: (أصدقاء حركة السلام الآن الإسرائيلية) المعروفةُ بمعارضتها للسياسات الإسرائيلية تجاهَ العرب، رئيسَ الوزراء الإسرائيليِّ «آرييل شارون» بأنَّه مجرمُ حرب، يَحلُمُ بإعادة احتلال كامل الضفة الغربية وقطاع غزّة تحت غطاء الحرب ضدَّ الإرهاب. وقال متحدِّثٌ باسم المجموعة في تصريح له: إنَّ أغلبية اليهود البريطانيين لا يُفضِّلون سياسةَ «شارون» وحكومته تجاه الفلسطينيين. . ومن جهة أخرى أسَّست مُحاضرةٌ بريطانيةٌ تَعمل في جامعة مدينة برمنغهام البريطانية مَوقعاً على شبكة الإنترنت يتضمَّنُ أشدَّ الانتقادات لإسرائيل ولسياستها العدوانية ضد الفلسطينيين في الأراضي المحتلة.

وقد دافعت المُحاضرةُ «سوبلا كويل» عن موقعها بتأكيدها أنَّ سياسةَ «شارون» الإرهابيةَ لم يَعُد بإمكان أحدٍ أن يَتحمَّلها.

وجاءت هذه المدافعة بعد أن كتب مجلسُ إدارة الطائفة اليهودية البريطانية رسالةَ احتجاجٍ على هذا الموقع إلى جامعة برمنغهام، أعربَ فيها عن معارضة يهود بريطانيا للعبارات والأوصافِ المناوئة لإسرائيل على هذا الموقع.

وقالت الرسالة: إنَّ المحاضرةَ «سوبلا كويل» تحوَّلت إلى ناطقٍ باسم المجموعات المناوئة لإسرائيل في بريطانيا.

وفي إطارٍ آخر، وصف البروفسور «تيدهوندريش» البريطانيُّ من أصلٍ كنديٍّ، الاستشهاديِّين الفلسطينيين؛ الذين يُفجِّرون أنفسَهُم ضدَّ الأهداف الإسرائيلية، بأنهم شهداءٌ حقيقيون؛ لأنهم بتفجيرهم لأنفسهم يفتحون أبوابَ الحياة لشعبهم.

وقال البرفسور «تيدهونديريش» أستاذُ الفلسفة في جامعة لندن في كتاب جديد صَدرَ في العاصمة البريطانية لندن: إنَّ أولئك الذين يلجأون للمقاومة ضدَّ الاحتلال لهم الحقُّ في تحرير شعبهم، وأولئك الذين يُفجِّرون أنفسَهُم ضدَّ الأهداف الإسرائيلية وفي سبيل قضية شعبهم، يَستحقُّون لقبَ الشهادة؛ لأنهم يُضحُّون بأغلى ما عندَهُم من أجل وطنهم. ووصفَ احتلالَ إسرائيل لفلسطين، وعُدوانَها على الدول العربية في عام 1967م، بأنه جريمةٌ أخلاقيةٌ، مُعتبراً العمليات الاستشهاديةَ الوسيلةَ الوحيدةَ المتبقِّيةَ أمام الفلسطينيين في مقاومة الاحتلال؛ ذلك أنَّ الاحتلالَ يَستخدمُ ضدَّ الشعب الفلسطينيِّ أحدثَ أنواع الأسلحة كطائرات (16F)، والدبابات، والمدفعية، والصواريخ والغازات. فماذا ينفع الحجرُ أو البندقيةُ أمام هذه الأسلحة المتطورة، التي تستخدمها قواتٌ حاقدةٌ ضدَّ الفلسطينيين.. ؟!

إنَّ الاستشهاديين الشُّرفاءَ هم الذين يُضحُّون بأنفسهم ليَهَبوا الحياةَ لشعبهم؛ لأنه لم تبقَ لديهم وسيلةٌ أخرى، بسبب الحصار المفروض على الضفَّة والقطاع بأكثرَ من مائة وخمسين ألف جندي، حتى الذخيرةُ الفرديةُ باتت حُلُماً بالنسبة للفلسطينيين، فما بالك بحصار أهلهم بقَطعِ الماء والغذاء والكهرباء عنهم، أليس يَستحقُّ هذا الحصارُ والتدمير الردَّ عليهم بالتفجير.. !!؟.

هل «شارون» إنسانٌ أم مُجرِمُ حرب:

على ضوء الواقع وما يجري في فلسطين، تظهر بوضوح تامٌّ شخصيةُ «شارون» اللاإنسانية؛ لأنَّه يستخدم سياسات ما سبقه أحدٌ لمثلها، لا من السياسيين الإسرائيليين - بدءاً من «ابن غوريون» حتى عهد «إيهود باراك» و«نتنياهو» - ولا من السياسيين الأوربيين والأسيويين، ممن استخدموا الأساليب الدكتاتوريةَ في حكمهم. لقد كان متميزاً بأساليب سياسية فريدة من نوعها، أقامها على البطش والتنكيل والقتل والتدمير، أي: كما يُقال: سياسةُ الأرض المحروقة - أو بأسلوبه الفريد: الأرض المدمَّرَة - وعلى الرغم من إدانة هذه السياسات على المستوى العالميِّ، إضافةً إلى إدانة قسمٍ كبير من اليهود لسياساته الخاطئة والمُضلِّلة، التي يدّعي فيها: أنه يُحارب الإرهابَ كوسيلة دفاعيةعن النفس - أي: عن شعبه -، حتى أعمالُهُ وأفعالُه السابقةُ التي نفَّذها خارجَ فلسطين - في لبنان - يَعتبرُ فيها تدميرَ المخيمات، واحتلالَ أراضي بلدٍ مجاورٍ دفاعاً عن النفس.. !! هذه هي فلسفة «شارون» السياسيةُ والعسكريةُ المبنيةُ

على القوة العسكرية، وتدمير كلِّ مَن يقف في طريقه، حتى يُدخل الرعبَ في نفوس الفلسطينيين، فيستسلموا لسياسته ويخضعوا لإرادته، ولكن أنَّى له هذا. فالشعبُ الفلسطيني حدَّد طريقَهُ، وعَرَف مَعالمَه، وهو يعرف كيف يتعاملُ مع عُنجُهيَّة «شارون»؛ الذي وَجَد له حليفاً قوياً في الولايات المتحدة، تُحرِّكُه السياسة الصهيونيةُ المسيحيةُ المتطرِّفةُ، وتدفعه حَفنةٌ من المستشارين المتهورين نحو الحرب والقتل، مثل: «رامسفيلد» وزير الدفاع، و«تشيني» نائب الرئيس، و«كوندوليزا رايس» مستشارة الأمن الخاصة.

وما إن انتهى الرئيس «بوش الابن» من خطابه، والإشادة بإنسانية «شارون» حيال الفلسطينيين، حتى بادرت دباباتُ الجيش الإسرائيليِّ بقصف مخيم (رَفَح) بشتى صنوف الأسلحة والقذائف، مُوقعةً ثمانيةَ شهداء، وأكثرَ من ستين جريحاً ـ دونما سابق سبب ـ ومعظمُ الضحايا كانوا من الأطفال والنساء والشيوخ، وبعضُ الجرحى في حالة خطرة للغاية. وقد توقَّع المراقبون المتتبِّعون لأحداث المنطقة هذه المجزرةَ. فكلَّما أوغلَ «شارون» في القتل والتدمير وارتكاب الفظائع الآثمة، انهالت عليه الثناءاتُ من البيت الأبيض، مصحوبةً بالمكافآت والأسلحة والتشجيع. وبعد أن أنعم «بوش» على سفّاح (صبرا وشاتيلا) ـ في لبنان ـ بوسام «صانع السلام» فهذا هو اليوم يُقلِّدُه وسامَ الإنسانية؛ لأنَّ سفَّاحَ (صبرا وشاتيلا) قتلَ الآلافَ من أبناء الشعب الفلسطينيِّ منذ تسلُّمه السلطةَ في الكيان الصهيونيِّ، وشرَّد عشرات الآلاف من ديارهم بعد تدمير بيوتهم وتدمير بلداتَ وقرى وأحياء كاملة. فقد دمَّر مخيمَ جنين بشكل كليٍّ. ودمَّر مقارَّ السلطة، ومؤسساتها، والمرافقَ الخدميةَ: من موانئَ ومطارات ومحطَّات مياه الشرب. ثم امتدت أصابعُهُ الآثمةُ إلى الطبيعة لتُمعنَ تخريباً في الأشجار والمزروعات، واقتلاع أشجار الزيتون ـ المادة الغذائية الرئيسية للفلسطينيين ـ ولم يَسلَم من فظائعه شيءٌ على الإطلاق في الأراضي العربية المحتلة. فاستحقَّ على ذلك الثناء والمديحَ من «بوش».

وكان من الطبيعي أن يُبادر سفَّاح (صبرا وشاتيلا) من جانبه إلى الإشادة بـ«بوش»، أكثر الرؤساء الأمريكيين تجاوباً مع إسرائيل ومخططاتها العدوانية. فالرؤساء السابقون، دأبوا على الالتزامَ بما سَمَّوه: «أمنَ إسرائيل». لكن «بوش» سَدَّ الفجوةَ بالتزامه، ليس فحسب بأمن إسرائيل، بل بمخططاتها العدوانية أيضاً. ومن هنا جاء احتضانه لسفاح (صبرا وشاتيلا). وقد وصل «شارون» هذه المرةَ إلى العاصمة الأمريكية على وقع طبول الحربِ ضدَّ العراق، مُبدياً استعدادَهُ للمشاركة الفعّالة، مُطالباً بجزء من الغنائم.

ويبدو أنَّ «بوش» و«شارون» اللَّذَين تحدَّثا طويلاً عن العراق، قد تَوصّلا إلى تفاهم. . وتُفيدُ مصادر الوفد الإسرائيليِّ المرافق لـ«شارون»: أنَّ الرئيس الأمريكيَّ لم يطلب من «شارون» وقفَ اعتداءاته ضد الفلسطينيين، ولا الانسحابَ من الأراضي الفلسطينية المحتلة، ولا تخفيفَ حدّة الحَصار على السلطة. . ، بل إنَّه على العكس رأى في ممارسات الجيش الإسرائيليِّ وفظائعه دفاعاً مشروعاً عن النفس، وأثنى على «إنسانية» «شارون» مقابلَ شَجبِه «الإرهابَ الفلسطينيَ».

ومن هنا نستطيع القولَ: إنَّ هذا الموقف يجب أن يكون حافزاً جديداً للعرب، لدراسة شاملة لعلاقاتهم مع الآخرين في ضوء مواقفهم العملية من قضايانا. . فالواضح أنَّ السياسةَ الأمريكية لا تَرسُمُها القوى المعتدلةُ، وإنَّما تَرسُمُها أيادي كبار المتطرِّفين في إدارة «بوش»، وعلى رأس هؤلاء صقور البنتاغون «رامسفيلد ـ وتشيني ـ ورايس».

وإذا كانت مناقشات مجلس الأمن الأخيرةُ قد دلَّت بوضوح على تَبرُّم دول العالم قاطبةً من عُنجُهية الإدارة الأمريكية، وسلوكها العدوانيِّ، وسعيها المستمرِّ إلى إشعال الحرائق في أكثر من منطقة بالعالم، بدليل إحباط مشروع القرار الأمريكيِّ ـ البريطانيِّ، وتنديد عدد من الدول بالسياسة الأمريكية المُنحازَة ضدَّ العرب، فإنَّ العرب بدورهم مُطالبون ـ وهم أصحابُ القضية ـ ليس فقط بمعارضة أيِّ هجوم أمريكيٍّ على العراق. . بل برفض تقديم أية تسهيلات من أيِّ نوعٍ كان للقوات الأمريكية، وبتأكيد موقفهم بشكل حازم وعلنيٍّ وجريء، وبتكثيف الاتصالات مع دول العالَم، خاصةً التي تصدت للعُنجُهية الأمريكية، وحالت دون تمرير مُخطَّطاتها في مجلس الأمن. .

إنَّ الحقيقة الواضحة كالشمس هي أن الإدارة الأمريكية تدعم العدوان الصهيوني ضدَّ شعبنا الفلسطينيِّ، وتساندُ مخططات «شارون» لتهجير هذا الشعب من دياره، واقتلاع جذوره من أرضه. . هذه الإدارة التي لا تُقيمُ وزناً لمبادئ الأمم المتحدة وقراراتها، وتَتنصَّلُ كُلِّيّاً من عَملية السلام، والالتزامات التي تعهَّدت بها الولايات المتحدة، ولا أحد يستطيع التنبؤ: أين سيقفُ العدوان الأمريكيُّ المَتوقَّعُ على العراق. . ؟ وما دور الكيان الصهيوني في توسيعه. . !!؟

فالعرب مطالبون برفع أصواتهم وتأكيد مواقفهم الرافضة جملةً وتفصيلاً للمخططات الأمريكية، بالقول والفعل، والعمل والسلوك، خاصةً أنَّ هذه المَخططات لا تستهدف العراقَ وحدَهُ، بل المنطقةَ بأسرها. . فيا عربُ: أصحُوا من النوم. . ؟

«شارون» يُمهِّدُ لنكبة جديدةٍ وحربٍ جديدة:

إنَّ الحرب المقبلةَ التي يُخطَّط لها «شارون» ـ مُستغلاً توجُّهَ العالم نحو العراق ـ ستكون بطبيعتها تصعيداً للحرب الراهنة التي يخوضها ضدَّ الشعب الفلسطينيِّ في قطاع غزة والضفة الغربية، والهدفُ منها سوف يكون: خلقَ واقعٍ سياسيٍّ جديد، وخَلْقَ روح عسكرية ـ إسرائيلية تُساعده في إنهاء اتفاق (أوسلو)، وكلِّ ما نَتجَ عنها، وسوف تكون هذه الحرب مُكمِّلةً لحرب عام 1982م؛ التي شنّها «شارون» على منظمة التحرير في لبنان. وسوف تأخذ هذه الحربُ طابَعاً عادياً في البداية، ثم طابعاً متوسطَ العنف، ثم تتحول إلى طابع موسَّعٍ يُشكِّلُ العنفُ الشديدُ قاعدتَهُ، حتى تَشملَ بناءَ إسرائيل الكبرى؛ حيث تصبُّ نتائجها لصالح المزيد من التهويد والاستيطان والصراع مع العالم العربي، واقتلاعِ جذور الفلسطينيين من كامل أراضي فلسطين، لتتحوَّل إسرائيلُ «شارون» كما يُخطَّط: من النهر إلى البحر.

هذه الحرب هي معركةُ إسرائيل الجديدة في استراتيجيتها الجديدة في أوائل القرن الحادي والعشرين الجديد، ضدَّ الانتفاضة الثانية، وضدَّ التكاثر السكانيِّ العربيِّ في فلسطين، ولهذا سيكون من أهم أهداف هذه الحرب هو: تهجيرُ أعداد كبيرة من السكان إلى خارج المناطق الفلسطينية باتجاه الأردن ومصر، وإنهاءُ الحُلُم الحاليِّ بدولة فلسطينية للفلسطينيين.

وإنني أعتقد جازماً: أنَّ «شارون» يُخطِّطُ ويُرتِّبُ الأجواءَ لصالح هذه الحرب؛ لأنَّ اصطفافَ اليمين الإسرائيليِّ إلى جانبه، وتَصادُمَه الجزئيَّ معه لأنَّه لم يصل إلى مرحلة تنفيذ العملية الكبرى التي يُخطَّط لها بعدُ. لهذا فهو يسعى لمزيد من تأجيج اليمين، بينما يُظهر نفسَه في موقف معتدل، من أجل كسب الموقف الأمريكيِّ ذي الاتجاهات اليمينية المتطرفة، ولأنَّ اليسار الإسرائيليَّ ـ وعلى رأسه حزبُ العمل ـ قَد سَلَّم معظم أسلحته السياسية، وانعزل بعيداً عن الساحة الحقيقية بعد أن فقد شَعبيَّته؛ لأنه فَشلَ في تحقيق السلام مع الفلسطينيين في مواجهة الانتفاضة، وأصبح من الناحية العملية بعد «شارون» اليمينُ واليسارُ في خنادقَ متقاربة؛ لأن اليمين يريد المزيدَ من العنف وصولاً للحرب، أما الثاني ـ اليسار ـ فقد أصبح في مواقف الضعف، بينما نجدُ أنَّ الرأي العامَّ الإسرائيليَّ قد مالَ إلى اليمين، ونحو حزب الليكود، والحلول العسكرية العدوانية التي يَطرَحُها، مُدّعياً الدفاعَ عن النفس أمام الهجمات الاستشهادية الفلسطينيةَ، التي لم تَجد طريقاً آخر

للردّ، وهو يسعى من خلال ذلك لترتيب الدعم الدولي عامة، والدَّعم الأمريكيّ خاصةً، واستغلال الضعف العربيّ. وبمعنى آخر: فإن «شارون» يسعى لتذليل العقد الرئيسية التي تمنعه - مؤقتاً - من استخدام الجيش الإسرائيليّ بصورة موسَّعة، مُتذرعاً بأنَّ الرئيس الفلسطينيَّ، فقد السيطرةَ على زمام الأمور، ويُساهم في عمليات العنف الاستشهادية بشكلٍ غير مباشر.

أما الوضع العربي المفكَّكُ، فإنه غير قادر على تحقيق أيِّ تهديد حقيقيٍّ عسكري لإسرائيل، أو الردِّ عليها على أقلِّ تعديل؛ إذ تَبقى إسرائيلُ متفوِّقةً عسكرياً على جميع الدول العربية، وقادرةً على توجيه ضربات قاسية للجيوش والدول العربية، مما يُساهم في تحييدها في أية حرب قادمة تَشنُّها إسرائيلُ ضدَّ الفلسطينيين، من أجل تصفية الصراع على فلسطين. فهل تقبل الدول العربيةُ استمراريةَ حيادها، والوقوفَ مُتفرِّجةً على ذبح الفلسطينيين وتشريدهم . . ؟

ان جميع المؤشرات والأوضاع العامَّة تتحرك لصالح هذه الحرب الموسعة في الإطار الشَّعبي الإسرائيليِّ، وفي الإطار الأمريكيِّ، وفي الإطار الدوليِّ، ويُعزِّز ذلك الضعفُ الأوربيُّ - في مواقفه - والعربيُّ، ومحدوديةُ القُدُرات الفلسطينية. وبمعنى آخر: إنَّ الوضع الفلسطينيَّ الراهنَ يَمرُّ في مرحلة ضعف أمام عملية الاستقواء التي يمارسها «شارون» على الفلسطينيين، وإذا استمر العدوان بهذا الشكل، والعمليات الاستشهادية متواترةٌ غيرُ متقطِّعة، فإنَّ هذا سوف يقود حتماً - إذا لم تتدخَّل أمريكا - إلى مواجهة عسكرية مفتوحة من جميع الأبواب، ولا أعتقد أنَّ نتائج هذه الحرب - إن أُعلنت رسمياً - أكثرُ فعاليةً في المجال السياسيِّ؛ لأنَّ الوضع الحاليَّ إذا استمرَّ على ما هو عليه، وأمريكا تؤيد هذا الوضع لصالح شارون»، فسوف يتحول إلى كارثة جديدة على الفلسطينيين، تضاف إلى الكوارث السَّابقة التي مرَّت على القضيَّة الفلسطينية على مرِّ العقود الماضية، وعند ذلك تتلمَّسُ الدولُ العربيةُ والإسلامية فَداحةَ الخَطَب، ولكنَّ الندمَ لا يَعُد له فائدةٌ. .

والشيء المؤسف - إنْ لم نقل: المخجل - أنَّ الدول العربيةَ تنام في سُباتها العميق، بينما نجد أنَّ الدول الأوربيةَ، وحتى في الولايات المتحدة الأمريكية، تقوم المظاهراتُ، حركاتُ السلام تقودها، منتقدةً ومنددةً بالسياسات الإسرائيلية والأمريكية تجاه قَضيَّتي فلسطين والعراق. ففي مدينة (جنيف) طالب مجلسُ الكنائس العالميُّ الولاياتِ المتحدة

بوقف تهديداتها للعراق، وانحيازها السَّافر لإسرائيل ضدَّ الفلسطينيين، وأعلن هذا المجلسُ وأعربَ عن قلقه البالغ إزاءَ عزم واشنطن على توجيه ضربة عسكريَّة إلى العراق، ومُطالَبته بإيقاف الظُّلم الواقعِ على الفلسطينيين.

والسُّؤال المطروحُ الآن على الدُّول العربيَّة: هل ستقع الحرب الحقيقية بين إسرائيل «شارون» والفلسطينيين..؟ وإذا فرضنا وقوعَها - وهي ستقع - فهل تعلم هذه الدُّول الخطةَ التي يُمهِّدُ لها «شارون» بدراية ودقَّة، وكم سيكون عددُ ضحاياها..؟ والأهمُّ من كلِّ هذا: ما هي نتائجها فلسطينياً وعربياً..؟؟

فهل توجد دولة في العالم أكثرُ شراً وعنصريَّةً من دولة إسرائيل وقائدِها «شارون» الشِّرير..؟

أقول: نعم، إنَّ الموقف المتخاذلَ والجبانَ للدول العربية هو أكثرُ شراً على الفلسطينيين من شر «شارون»؛ لأنَّ «شارون» هو العدوُّ اللَّدودُ المعروفُ للفلسطينيين، أما الشرُّ المجهولُ. فهو الذي يجب معرفته..؟ إنَّه خوفُ العرب، وتخاذُلُهم وجُبْنُهم وتَفرُّقُهم..؟

خاتمة

من خلال القراءة المتأنية لما ورد في هذا الكتاب، نلاحظ أنَّ الولايات المتحدة الأمريكيةَ تُخطِّط لقيام «الإمبراطورية الكونية الأمريكية»، وأنَّ كلَّ علامات الاستقواء، وشعارات الاستعلاء، هي إرهاصاتٌ لقيام هذه الإمبراطورية التي تريد تكوينَها سلمياً إذا أمكن، وعسكرياً إذا لزم الأمرُ، ضاربةً بعُرْض الحائط حُلفاءَها من الدول الأوربية، وأنصارَها في القارّة الأسيوية، وأصدقاءَها في القارة الإفريقية والأسترالية، إنَّها تريد قيامَ هذه الإمبراطورية الأُحادية في العالم، وبكلِّ أسف: فإنَّ أقوى دول العالَم الأوربية والأسيوية ترى وتسمعُ ثم تَصمُتُ وتَبلَع.

إنَّها تعرف أنَّ الوقت المناسبَ لإظهار سطوتها وعُنجُهيَّتها هو الآن؛ بسبب المشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تجتاحُ العالَمَ. فها هي تُهدِّدُ وتُزْبِد وتُرْعِد لتوجيه ضربة قاصمة للعراق؛ لأنها تعلمُ أنَّ العرب ليس بمقدورهم المعارضةُ بسبب الصمت الرهيب أمام سياستها المؤيِّدة والمساندة لـ«شارون»، حتى وصل الأمر اتهامَها للسلطة الفلسطينية ورئيسها بممارسة الإرهاب؛ لأنهم يُدافعون عن أنفسهم بقتل الإسرائيليين الأبرياء.. ولم يُحرِّك العربُ ساكناً، بل لم يصدر عنهم ـ كالعادة ـ بيانٌ يُندِّدون فيه بسياسة «شارون»، وسياسة الإدارة الأمريكية الجديدة. والمُحيِّرُ في الأمر: لماذا ضَربُ العراق في هذا الوقت بالذات الذي تَمرُّ به المنطقةُ العربية بفترةٍ عصيبة من تاريخها السياسيِّ، و«شارون» يقتل ويَهدِمُ ويُدمِّرُ..؟

إن سياسة «بوش» هذه تجاه العراق ـ الشرق أوسطي ـ هي ذات السياسة من كوريا الشمالية ـ الأسيوية ـ وإن كانت اللَهجةُ أخفَّ.. وكذلك الأمر بالنسبة لإيران ـ الأسيوية والشرق أوسطية ـ؛ لأنَّ هذه الدول تُناهضُ سياسةَ أمريكا، فأطلقت عليها اسمَ: «دول محور الشر»؛ لتبرير ضرباتها القادمة لها، ولن تكون سوريةُ والسودانُ وليبيا، بمنأىً من هذه السياسة، ولكن حسب الدور المُخطَّط لكلِّ دولة.. وإنَّ ضرب هذه الدول ـ وعلى رأسها العراق ـ ليس بسبب عدم التزامه بقرارات الأمم المتحدة، وإنما بسبب التصريحات التي تُعارضُ سياسات الولايات

المتحدة، وذاتُ التصريحات تقريباً تَصدُرُ من المسؤولين الكوريين الشماليين، والمسؤولين الأساسيين في إيران أيضاً، والغرضُ من ذلك هو: إزاحةُ زعماء هذه البلدان من قيادة أنظمة الحكم فيها ـ وليس تنفيذَ تعليمات الأمم المتحدة؛ لأنها لا تريد صوتاً مُعارِضاً في العالم ضدَّ سياستها، بل صمتاً وسكوتاً..

عندما فشل «بوش الأب» من إزاحة «صدام» عن السلطة، فوَّض الأمرَ لابنه لتحقيق ما فَشِلَ هو بتحقيقه.

إن إسقاطَ رئيس النظام العراقيِّ يؤسِّسُ قاعدةً ثابتة في المنطقة لأمريكا، ومن خلال ذلك تُقدِّر أنها ستحتوي إيران، تماماً كما فعلت بأفغانستان بالاتفاق مع دولة الجوار باكستان.. لأنَّ العراق تصبحُ قاعدةً أمريكيةً للضغط على إيران، وفي حال السيطرة عل إيران، ومعها طبعاً أفغانستان، تكون قد أطبقت كمَّاشتها على وسط وجنوب آسيا، وتصبح كوريا منها على مرمى الحجر. وتكون بذلك قد أعطت الأمانَ والاطمئنانَ لإسرائيل، وضربت عدةَ عصافير بحجر واحد؛ لأنَّ احتلال العراق واحتواءَ إيران، يَزيد في غطرسة ووحشية إسرائيل ضدَّ الفلسطينيين؛ لأنهم يكونوا قد فقدوا السندَ الحقيقيَّ العربيَّ، والسندَ الحقيقيَّ الإسلاميَّ، فتنفردُ إسرائيلُ بالفلسطينيين، كما انفردت أمريكا بالعراق، ثم بإيران. ولكنَّ أمريكا لو نفّذت مُخطَّطَها هذا ونجحت بضربات سريعة فَرَضاً.. فهل ستجدُ الأمنَ بذلك..؟ كلاَّ وألفُ كلاَّ. إنَّني أعتقد: عند ذلك ستلتهب المنطقةُ، وستشتعل نيرانُها، وسيَحرِقُ أُوَارُها المصالحَ الأمريكيةَ حرقاً لاذعاً، وستندمُ، ولكن لن ينفعَ الندمُ.

لقد ألقى «بوش» بهموم التسوية السلمية في الشرق الأوسط إلى خارج أبواب البيت الأبيض؛ تنفيذاً لوصية «مادلين أولبرايت» المسمومة عندما قالت: «دعهم في الطنجرة وهم يَنضَجُون»..؟ بمعنى: ترك الفلسطينيين والإسرائيليين في أتون الصراع الدمويِّ إلى أن يقتنعوا بجدوى التسوية، «وتقصدُ بطبيعة الحال: جدوى التسوية كما تراها إسرائيل»..!!

أما عن موضوع الوعد الذي قطعهُ «بوش» بقيام الدولة الفلسطينية، فقد كانت لديه دوافعُ واضحةٌ عند الجميع؛ لأنه اختار كلماته بعنايةٍ شديدةٍ كي يَتركَ إعلانُه مقداراً كافياً من

الدَّوليِّ، يسمعُهُ الناس في أقاصي العالَمَين: العربيِّ والإسلاميِّ، بخلاصة مَفادُها: إنَّ فكرة الدولة الفلسطينية كانت دوماً جزءاً من الرؤية الأمريكية ما دام حقُّ إسرائيل في الوجود مضموناً ومحترماً، مُدَّعياً وضعَ خطة متكاملة كان سيُعلنُها وزيرُ الخارجية «كولن باول» في خلال الجلسة الافتتاحية للجمعية العامة للأمم المتحدة، متضمنةً مُقترَحات لإقرار تسوية شاملة، لأمريكا الدورُ الأولُ بتنفيذها؛ لإنهاء الصراع الفلسطيني ـ الإسرائيليِّ، وترسيم الحدود، وحقِّ العودة، والوضعِ النهائيِّ للاجئين الفلسطينيين، مع نقاشات مُعمَّقة تدور عند ذوي الاختصاص في الإدارة الأمريكية، مع وقف كُلِّ النشاطات الاستيطانيةِ الإسرائيلية.

هذه التصريحاتُ لـ«جورج بوش»، بدأت تأخذ أبعاداً أخرى؛ لأنَّه لم يقم بترجمة فعلية لأية فكرة طَرَحها. وباتت تصريحاتُهُ المتناقضةُ أحياناً تُمثِّلُ العناوينَ الحقيقيةَ لسياسته المطبَّقة، وأنَّ ذلك ما يجعله يصرِّحُ: ((إذاً: لا بُدَّ للعرب للتعامل مع هذا الواقع، واقعِ «شارون»)). والأسوأ من ذلك أنَّ واشنطن «بوش» تتوقَّع من العرب والفلسطينيين أن يُجنِّدوا أنفسَهم ـ إذا كانوا يريدون السلام حقاً ـ لإنجاح «شارون» في سعيه الحقيقيِّ إلى هَدم عملية السلام، وعدم إبقاء حجر على حجر فيها.. ومثلما استغلَّت أمريكا أزمةَ الغزو العراقيِّ للكويت لفرض مبدأ إنهاءِ الصراعِ العربيِّ ـ الإسرائيليِّ، فها هي اليوم تستغلُّ العَجزَ المفضوحَ لغرض تسليم كلِّ أراضي فلسطين وأهلها إلى «شارون» وإسرائيل، لتَضُمَّها لها نهائياً، ولا تعود معتبرة قوة احتلال غير مشروع، ونعيماً لينام العرب؛ الذين يَرقُدُون في سُباتٍ عميقٍ.. !!

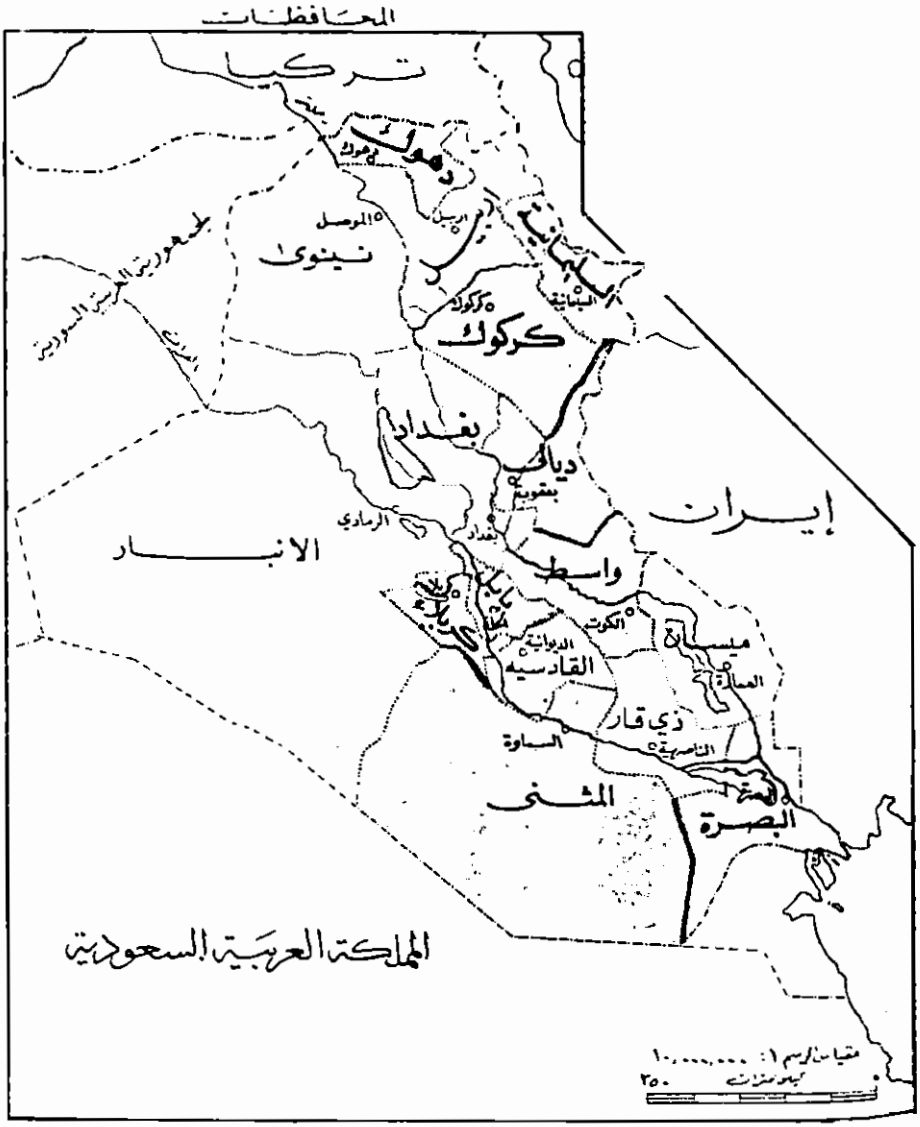

المحافظات

تركيا
دهوك
أربيل
السليمانية
الموصل
نينوى
كركوك
بغداد
ديالى
بعقوبة
إيران
الرمادي
الانبار
واسط
الكوت
بابل
كربلاء
الديوانية
القادسية
ميسان
العمارة
ذي قار
الناصرية
السماوة
المثنى
البصرة
الجمهورية العربية السورية
المملكة العربية السعودية
مقياس الرسم ١ : ١٠،٠٠٠،٠٠٠
كيلومترات
٢٥٠

المصادر والمراجع

الكتب

1ـ الولايات المتحدة وإسرائيل، د. أبو جابر كامل، القاهرة ـ 1971م.

2ـ المنظمة الصهيونية العالمية، عبد الرحمن أسعد، بيروت ـ 1967م.

3ـ الأقلية اليهودية في الولايات المتحدة، مصطفى عبد العزيز، بيروت

4ـ دراسات الجامعة الأردنية، 1978م.

5ـ دراسات أردنية، أمين عبد الله محمود، 1978م.

6ـ أمريكا والصهيونية، حكيم سامي، القاهرة ـ 1967م.

7ـ أمريكا والشرق العربي، وزارة الثقافية المصرية، القاهرة ـ دار الكاتب.

8ـ فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار، أحمد طربين، دمشق ـ 1970م.

9ـ الولايات المتحدة وإسرائيل، تصريح آبا إيبان: ص 81.

10ـ فلسطين والعالم جزء 2: ص27.

11ـ العلاقات السرية بين اليهودية والماسونية، محمود عبد الحميد الكفري، دمشق ـ دار قتيبة.

12ـ بروتوكولات حكماء صهيون، عجاج نويهض، لبنان.

13ـ الصهيونية، خيري حمّاد.

14ـ قضايا عصرنا، د. نور الدين حاطوم، دمشق.

15ـ حرب تلد أخرى، التاريخ السري لحرب الخليج، سعد البزّاز، بغداد.

16ـ تورا بورا / أولى حروب القرن، يوسف الجهماني، دمشق.

17ـ النبوءة والسياسة، جريس هالسل، أمريكا.

18 نهاية الكرة الأرضية العظيمة، القس ليندسي، أمريكا.

19ـ الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) والعولمة، نعوّم تشومسكي، ترجمة: د. عابد إسماعيل.

20ـ الانتفاضةُ الجديدة، رون كيري، أمريكا.

21ـ بناء الأمن والسلام في الشرق الأوسط/ الأجندة الأمريكية، ترجمة: يوسف جهماني.
22ـ النكبة، عارف العارف جزء أول.
23ـ مذكرات ترومان، ترومان، نيويورك.
24ـ الولايات المتحدة والفلسطينيون، د. محمد شديد، ترجمة: كوكب الريس، بيروت.
25ـ الولايات المتحدة والصراع العربي الصهيوني، توفيق أبو بكر، الكويت ـ مطبعة دار السلاسل.
26ـ باطل الأباطيل بين القرآن والإنجيل، د. حسن حدّة، دمشق ـ العربي للنشر والطباعة والتوزيع.
27ـ الاستراتيجيتان السوفيتية والأمريكية، هنري باريس، ترجمة: أحمد عبد الكريم.
28ـ الحرب من أجل السلام، عزرا وايزمن، ترجمة: غازي السعدي، عمّان ـ دار الجليل للنشر.
29ـ بيل كلينتون وهيلاري، لمن القرار، ذيب علي حسن، دار الحكمة ـ دمشق.
30ـ الشرق الأوسط والصراع الدولي، يحيى أحمد الكعكي، دار النهضة العربية ـ بيروت.
31ـ الصراع الدولي والشرق الأوسط، محمود الكفري، الشارقة.
32ـ العرب واليهود في التاريخ، أحمد سوسة، بغداد ـ منشورات وزارة الثقافة والإعلام.
33ـ الحرب العربية الإسرائيلية وتأسيس إسرائيل، د. فلاح خالد علي، بيروت ـ المؤسسة العربية للدراسة والنشر.

الصحف والمجلات:

34ـ شؤون فلسطينية، مايكل جانسن / عدد 52: ص15.
35ـ مقالات/ 1956ـ1976م، هيكل/ الفارس الرابع على طريق السويس.
36ـ الوطن الكويتية 24 أكتوبر 1976م.
37ـ صهيونيون حتى أطراف أصابعهم: ص129.
38ـ محاضرة بالإنجليزية، إقبال أحمد (كاتب باكستاني)، 1998م.
39ـ وجهات نظر، محمد السمّاك، في مجلة مصرية مشهورة.
40ـ مجلة الأويسرفر، باتريك وينتور، 1998م.

41ـ مجلة الغارديان، جيمس آستيل، 2001م.
42ـ طبول الحرب الأمريكية، د. صالح عبد الرحمن المانع: 14/ 9/ 2002م، محاضرة.
43ـ جريدة الحياة ـ بيروت: 7/ 2/ 2002م.
44ـ مؤسسة الأهرام، هدى توفيق، واشنطن.
45ـ قضايا وآراء/ العدد: 42274/ 2002م.
46ـ مجلة فلسطين، إصدار المكتب الدائم للهيئة العربية العليا، نيويورك كانون الثاني (ديسمبر) 1961م.
47ـ رسالة مفتوحة إلى بلير، العفيف الأخضر: 12/ 8/ 1422هـ ـ 8/ 10/ 2001م
48ـ صحيفة وول ستريت، لندن، جورنال الاقتصادية.
49ـ إعلان القمة الفرانكوفونية/ بيروت، جريدة تشرين السورية.
50ـ مجلة أنترناشيونال أفيرز، يوسي شاين وياري برتيسمان، أمريكا.
51ـ صحيفة يديعوت أحرونوت، استفتاء عن انخفاض شعبية «شارون» من 70٪ إلى 54٪ في غضون 3 أشهر فقط.
52ـ صحيفة الصنداي تليجراف، لندن.
53ـ صحيفة الصنداي تايمز، لندن.
54ـ صحيفة الواشنطن بوست، أمريكا: 23 شباط 2002م
55ـ صحيفة الجارديان البريطانية، لندن: 23 شباط 2002م.
56ـ صحيفة اللوموند الفرنسية، باريس، دانيل سالنيف، سامي فيير، إيدجرمورين، ترجمة: محمد هاني عطوي.
57ـ صحيفة الأندبندت أون صنداي، لندن.